تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

قاعدة سد الذرائع

الشيخ سعود شريم — ص 5

المحبة مركبة السائرين إلى الله عزوجل

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى — ص 8

حلاوة الدعوة إلى الله تعالى

المفضل فلواتي رحمه الله تعالى — ص 2

قانون الحب في الله والحب مع الله

د. محمد راتب النابلسي — ص 4

بسم الله الرحمن الرحيم

almahajjafes@gmail.com

المفضل فلواتي
المدير المؤسس

المحجة

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج
14 رجب 1432هـ - 17 يونيو 2011م

جامعة نصف شهرية
الثمن : 3 دراهم

العدد : 361

افتتاحية

قرآن الأمة وأمة القرآن : الحضور والغياب...!!

ص 2

كبير مستشاري المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط الدكتور هيثم الخياط لـ المحجة

- من الضروري إعادة النظر في أساليب تعليم اللغة العربية بما يجعلها ميسرة ومناسبة
- نحن مقصرون في تعليم أبنائنا اللغة العربية
- ضرورة تجاوز مناهج التلقين إلى مناهج التفاعل والتعلم الذاتي
- القول بإمكان موت اللغة العربية خلال قرن مجرد وهم أو رهان يخفي وراءه خلفيات

شؤون تربوية

- التوجيه التربوي بين البناء والهدم — د. عبد الرحيم الرحموني — ص 14
- أهمية السنة ودورها في تكوين النشء السوي — ذة. بشرى كوكب — ص 12
- العربية والعرب — محمد أبو المجد — ص 10
- العمران الحضاري وأسسه في القرآن الكريم — د. محمد البوزي — ص 11

قرآن الأمة وأمة القرآن : الحضور والغياب... !!

في افتتاحية العدد 359 تحدثنا عن تجربة مخاض الولادة للأمة المسلمة بين التيه والرشاد، وبينا بعض معالم ومفاتيح الرشاد والتي تكمن في مفتاح العلم ومفتاح المنهج، ومفتاح التربية والتخلق، ومفتاح التنسيق والتكامل بين أعضاء جسد الأمة، وتتميما للحديث في هذا الأمر يلزمنا التنبيه إلى أمر في غاية الأهمية، وهو أنه لا وجود لمخاض الولادة من غير وجود تخلق الجنين، ومن غير نفخ الروح في الجنين ، وروح الأمة هو القرآن الكريم، وهو موجود ومحفوظ بوعد الله تعالى في حفظه ، لكن المشكلة ليست هنا وإنما في وجود الأمة القائمة بهذا القرآن الساهرة على تغذية جسمها وعقلها وروحها من غذاء الروح الذي يشكل جوهرها وهويتها والذي به تخلقت يوم تخلقت بإذن ربها، فإذا كان قرآن الأمة موجودا وحاضرا، فهل أمة القرآن موجودة حاضرة شاهدة عاملة بمقتضى هذا القرآن؟!

أولا : أوصاف القرآن الكريم ومدى قيام الأمة بها :

لننظر أولا في أوصاف هذا القرآن التي وصفه الله بها لنتبين خصائصه ووظائفه ونقارن بينها وبين واقع أمة القرآن تجاه كتابها:

● فالله عز وجل سمى قرآنه روحا: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا منَ امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾(الشورى: 52)، فهل أحللنا هذه الروح في أنفسنا وأبنائنا؟ وهل اهتدينا بنوره في ظلمات الجهل والاختلاف والتعصب وتعدد الأهواء والولاءات إلى صراط الله المستقيم وحبله المتين؟!

● والله عز وجل وصف القرآن الكريم بوصف القرآن ليُقرأ، وبوصف الكتاب ليكتب ويقرأ ويُعْلم ويُتَعلم ويُعَلَّم: قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان﴾(البقرة:185)، وقال جل وعلا: ﴿الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، إلى صراط العزيز الحميد﴾(إبراهيم:1) ، وقال جل جلاله: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾(آل عمران:89)، فهل قامت الأمة بهذه الوظيفة التي قام بها رسول الله ﷺ يوم نزل عليه هذا الأمر وهذا التوجيه؟! وهل قرأت الأمة هذا القرآن بقصد الاهتداء به للخروج بنفسها وإخراج غيرها من الأمم من التيه إلى الرشاد، والتنور بنوره للخروج من ظلمات الجهل إلى نور العلم والرحمة والبشرى؟! وهل باشرت بنفسها أسباب الاهتداء والهداية، وأسباب الخروج إلى الحياة وأسباب إخراج الإنسان؟

● والله جل وعلا وصف هذا القرآن بأنه فرقان وميزان فقال جل شأنه : ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾(الفرقان: 1)، وقال جل شأنه : ﴿لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾(الحديد:24) ، فهل فعلا وظفت الأمة هذا القرآن وجعلته ميزانا تزن به كل أمورها، وفرقانا تفرق به بين الحق والباطل، والخير والشر، والهدى والضلال، والعدل والظلم، والتيه والرشاد؟

ثانيا : أوصاف أمة القرآن الكريم ومدى تخلق الأمة بها :

ثم لننظر ثانيا في ما كلف الله به أمة القرآن - حتى تكون أمة القرآن - ونقارن بينها وبين واقع حالها تجاه هذه التكليفات لنرى الفرق بين حضور القرآن وغياب مفعوله في الأمة ، وبين حضور الأمة وغياب فعلها وصفاتها.

كلف الله جل وعلا الأمة بقراءة القرآن: ﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾ تخفيفا وتيسيرا على الأمة فهل الأمة - كل الأمة - قامت بهذا الواجب؟ وهل أخذت الأمة القراءة بمعنى الجمع والحفظ والوعي والعلم والعمل أم اقتصرت في القراءة بمعنى تهجي الحروف؟ وأين الأمة من رعاية حقوق القرآن وأهله وتعهده بالتربية والتدريس والإنفاق عليه وبناء المؤسسات الساهرة على حفظه وتحفيظه وتعليمه حتى تعمم فائدة قراءته؟

● **وكلف الله تعالى الأمة بتلاوة هذا الكتاب، فقال سبحانه: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾(البقرة : 120)، والتلاوة هي اتباع العلم بالعمل، وإتيانه عقبه كما قال ابن عباس فالتلاوة الحق هي العمل به، فهل الأمة اليوم قائمة بأمر التلاوة حق القيام؟ هل تقوم الأمة بوظيفة العمل بالقرآن في حياة أفرادها الخاصة والعامة؟ أين السياسة من العمل بالقرآن ووزن الأمور به؟ وأين التعليم من تعليم الأمة علم ربها وكتاب ربها وتزكية الأنفس به؟ وأين القضاء من الحكم بشريعة الله؟ وأين الاقتصاديون من التعامل بقوانين الإسلام في كسب الثروة وتوزيعها؟وما محل التعامل بالربا في اقتصادنا من العمل بالقرآن الكريم وإعماله؟ وأين المسؤولون بجميع أصنافهم ومستوياتهم من العمل بمبادئ القرآن في حفظ الأمانات والأمر بالإخلاص في أداء الحقوق والقيام بالواجبات؟ وأين وأين...؟**

● وكلف الله تعالى الأمة بتدبر القرآن فقال تعالى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها﴾(محمد : 25)، وقال جل جلاله: ﴿كتاب انزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب﴾(ص:29)، وإذا كان التدبر يفيد معنى معرفة معاني الألفاظ ومآلاتها(التأويل)، والفقه والفهم والاعتبار والتذكر والتفكر والتدبير(النظر في عواقب الأمور ونهاياتها)والاستبصار، فهل قامت الأمة بهذه الوظيفة؟ وهل أعدت لها ما يبرئ ذمتها أمام الله؟ وما نصيب أبنائنا وأبناء الأمة من حقهم في تدبر القرآن وتعلمه بقواعده التي تحقق التدبر الأمثل؟

● **وإذا كان الله عز وجل قد جعل هذا القرآن روحا وماء للحياة وهداية للخير ، فقد كلف الأمة بتبليغه للناس لزرع الروح فيهم وإحيائهم بروح القرآن ومنحهم الخير الحقيقي فقال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس﴾(المائدة : 69)، وقال جل وعلا مبينا وظيفة الأمة في الدعوة والبلاغ وتبليغ هذا القرآن للعالمين: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولائك هم المفلحون﴾(آل عمران:104)، وهنا أيضا يطرح السؤال أين الأمة من وظيفة البلاغ والتبليغ والدعوة والتربية والتعليم ؟ وأين هي من وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمن الهزائم والتراجع عن المبادئ والمواقع؟**

● لننظر الآن: أليس القرآن الذي أنزل الله تعالى لا يزال حاضرا؟ والذي تخلف عن الحضور هو الأمة بفعلها، هو شهود الأمة، هو دور الأمة؟ **وإنه لمن أقسى صور التيه أن يكون الدليل متوفرا وينصرف الضال عنه ولا يدركه، وإنه لمن أفظع صور العمى أن يوجد الماء بين يدي الظمآن ويتركه ليجري وراء السراب، وإنه لمن علامات الرشد الأولى أن تدرك الأمة أولا أن رشدها في العودة إلى كتاب ربها، ثم ثانيا في علمه وتعلمه وتدبره، وفي تدريسه وتدارسه، وفي العمل به وتطبيق مقتضياته والاستبصار به في كل شأن من شؤونها، وثالثا في خدمته من جميع أنواع الخدمة التي تجعله دائم الحضور والجريان في جسم الأمة، ويجعل الأمة حاضرة شاهدة، عالمة عاملة، ثم رابعا في تبليغه وتعميم الاستفادة منه وتبرئة الذمة أمام الله في إنقاذ عباده من العذاب وإدخالهم في الرحمة.**

إنه لا عذر للأمة أن تظل شاردة تائهة غائبة، وهدايات القرآن موجودة حاضرة، ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾(الأنفال:24).

حلاوة الدّعوة إلى الله تعالى والدفاع عنها وتصحيح مَبادئها (1)

أبو بكر رضي الله عنه أول خطيب دعا إلى الله ورسوله

ذ. المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

روت عائشة رضي الله عنها أنه لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا، ألَحَّ أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، وتفرَّق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته، وقام أبوبكر خطيبا ورسول الله ﷺ جالسٌ، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر، وعلى المسلمين، فضربوه في نواحي المسجد ضربا شديداً، ووُطِئَ، ودَنَا منه الفاسق عُتْبةُ بن ربيعة فجعل يضربه بنعْلين مخْصُوفَتَيْن(1) ويحرفهما لوجهه(2) ونزَا(3) على بطن أبي بكر رضي الله عنه حتى ما يُعْرفُ وجهُه من أنفه، وجاءت بنوتميم -قومه- يتعادَوْن فأجلَتْ المشركين عن أبي بكر، وحملته في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته، ثم رجعتْ بنوتميم فدخلوا المسجد، وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنَقْتُلَنَّ عُتبةَ بن ربيعة، فرجعوا إلى بكر فجعل أبو قحافة -والده- وبنو تميم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار. فقال : «ما فَعَلَ رَسُولُ اللّه»؟! فمَسوا منه بألسنتهم وعَذَلُوه(4) وقالوا لأمِّه أمّ الخيرَ : انظري أن تُطْعميه شيئا أو تَسْقيه إياه، فلما خَلَتْ به -أمُّهُ- ألحّتْ عليه، وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ، فقالت : والله مالي علم بصاحبك. فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أمّ جميل، فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، فقالت : ما أعرف أبا بكر، ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تُحبين أن أذهب معك إلى ابنك؟! قالت : نعم، فمضتْ معَها حتى وجدتْ أبا بكر صريعاً دَنفاً(5)، فدنت أم جميل وأعلنتْ بالصياح، وقالت : «والله إنَ قوماً نالُوا هذا منك لأهْلُ فسْق وكُفر إنني لأرجو الله أن ينتقم لك منهم» قال : «فما فعل رسول الله»؟! قالت : «هذه أمُّك تسمَعُ» قال : «لا شيء عليك منْها» قالت : «سَالم صالحٌ» قال : أين هو؟! قالت : في دار الأرقم.

قَال : «فَإنّ لله عليَّ ألا أذُوقَ طَعَاماً، ولا أشْرَبَ شَرَاباً أو(6) آتي رسول الله ﷺ».

فأمهلتا حتى إذا هدأت الرجْل، وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما، حتى أدْخَلَتَاهُ على رسول الله ﷺ، فأكَبَّ عليه رسُول الله ﷺ وأكَبَّ عليه المُسْلمون، ورقَّ لهُ رسول الله ﷺ رقَّةً شديدَة، فقال أبو بكر : «بأبي وأمي يا رسول الله، ليس بي بأْسٌ إلا ما نال الفاسقُ من وجهي، وهذه أمّي بَرَّة بولدها، وأنت مُبَارَكٌ، فادْعُهَا إلى الله، وادْعُ الله لها، عَسَى الله أن يسْتَنْقذَها بك من النار» فدعا لها الرسول ﷺ، ودعاها إلى اللهَ فأسْلَمَتْ(7).

حلاوة وأية حلاوة في المحبة لدين الله تعالى، وفي المحبة لرسول الله ﷺ، وفي المحبة لهداية أحبِّ الناس إليه -أمه- وإنقاذها من النار. حلاوة لا يشْعُر معها لا بألم الضرب، ولا بحُبّ الانتقام، ولا بقرص الجوع، وحرِّ الظمإ، حلاوة ملأت قلبه فأغْنَتْه عن كل شيء يتصل بجسده، يتصل بداره، يتصل بماله، يتصل بأولاده، شيء واحدٌ يشغله هو رسول الله ﷺ، فإذا سَلِم له الرسول ﷺ لَم ينقصْهُ شيء أبدا.

فكيف لا يستحق أن يكب عليه الرسول تقبيلا وتهنئة؟!.

1- خصف النعل : ظاهَر بعضها على بعض وخرزها، أي طرق جلدها جلداً على جلْد بالخيط أو بالمسمار.
2- يحرِّفهما لوجهه : يضربه على وجهه بأسفل النعل المخصوف.
3- نزا : وثَبَ على بطنه، وصار يطؤه على بطنه.
4- عذلوه : لاموه وعاتبوه على سؤاله عن الرسول وهو في هذه الحالة.
5- دَنِفٌ : أثر فيه المرض حتى أشرف على الهلاك.
6- أوَ : بمعنى : إلاّ أن آتي.
7- السيرة النبوية لابن كثير 439/1- 441، والسيرة النبوية لـ: د. علي الصلابي 257/1.

جريدة المحجة
■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي
■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية

انعقاد مجلس وزاري للبث في أمر الدستور

من المنتظر أن ينعقد مجلس للوزراء ليحسم في النقاط الخلافية المتعلقة بمشروع الدستور المقبل، والتي تهم حرية الاعتقاد الديني والهوية الوطنية.

وتوقع ذات المصدر أن يتوجه الملك محمد السادس، بخطاب إلى الأمة، مساء اليوم ذاته، سيوضح فيه الخطوط العريضة للدستور المقبل، وسيحدد فيه تاريخ فاتح يوليوز 2011 كموعد للاستفتاء الدستوري.

وسيأتي الخطاب الملكي المرتقب، بعد أسبوع من توصل الملك محمد السادس بمسودة الدستور التي سهرت اللجنة الاستشارية لمراجعة الدستور على إعدادها منذ ثلاثة أشهر، برئاسة الفقيه القانوني عبد اللطيف المنوني.

هذا وإلى حدود مساء الثلاثاء 14 يونيو، لم تتوصل الأحزاب السياسية المغربية بمسودة الدستور المقبل، لكن توقع استدعاء زعماء الأحزاب والمركزيات النقابية في غضون 24 ساعة،

إلى ذلك صادق مجلس الحكومة، الثلاثاء،على مشروع مرسوم يتعلق باستعمال الوسائل السمعية البصرية خلال حملة الاستفتاء على الدستور من طرف الأحزاب السياسية والمنظمات النقابية المشاركة في الحملة.

وأوضح وزير الاتصال الناطق الرسمي باسم الحكومة خالد الناصري، في لقاء صحفي عقب المجلس، أنه حسب مقتضيات هذا المشروع (رقم 2-11-371) فإن استعمال الوسائل السمعية البصرية العمومية، خلال حملة الاستفتاء، مفتوح في وجه الأحزاب السياسية والمنظمات النقابية المؤسسة بصفة قانونية في تاريخ افتتاح حملة الاستفتاء، والمشاركة في هذه الحملة.

توني بلير يؤكد: أقرأ القرآن الكريم كل يوم

أكد توني بلير رئيس الوزراء البريطاني السابق والمعروف بإعتناقه للمسيحية أنه يحرص على قراءة القرآن الكريم يوميا وذلك حتى يستطيع توسيع ثقافته من خلال تعاليم الدين الإسلامى الموجودة فى القرآن.

وقال بلير فى لقاء مع مجلة أن قراءته للقرآن تساعده فى فهم الدين الإسلامى بما يساعده فى عمله كمبعوث اللجنة الرباعية للشرق الاوسط والتى تتألف من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والإتحاد الأوروبى.

وتحفظ عدد كبير من البريطانيين على تصريحات بلير حيث تعجب البعض منها خاصة انه صرح بها بعد اعتناق شقيقة زوجته للإسلام فى اكتوبر الماضى.

الناتو يواصل غاراته على طرابلس

قصفت طائرات حلف شمال الأطلسي (الناتو) مجددًا العاصمة الليبية طرابلس بضربات أصابت شرق المدينة. وسمع أصوات ثلاثة انفجارات مدوية على الأقل هزّت شرق العاصمة الليبية.

ووقعت ضربتان جويتان على الأقل على شرق المدينة وأمكن مشاهدة أعمدة الدخان وحريق، كما سمعت أصوات طائرات تحلق فوق العاصمة.

وذكر التليفزيون الليبي الحكومي أنّ عمليات القصف أصابت أهدافًا عسكرية ومدنية في الفرناج أحد أكبر أحياء العاصمة وعين زارا.

وشهدت طرابلس تزايدًا في هجمات حلف شمال الأطلسي في أواخر الأسبوع الماضي لكن الأيام الأخيرة كانت هادئة نسبيًا.

ثلاثة وعشرون شهيدا في الجولان في ذكرى النكسة

انطلقت مسيرات في الضفة الغربية وقطاع غزة وعلى حدود هضبة الجولان المحتلة، التي استشهد فيها عشرون شهيدا بنيران قوات الاحتلال الاسرائيلي في ذكرى النكسة الرابعة والأربعين التي تصادف اليوم الأحد.

وأسفر إطلاق النار على مئات المتظاهرين الذين حاولوا اجتياز خندق وسياج إقامة الجيش الاسرائيلي في الأراضي السورية خلف حدود الهدنة في محاولة لدخول هضبة الجولان المحتلة عن استشهاد 23 متظاهرا وإصابة اكثر من 447 آخرين بجراح.

وشوهدت سيارات إسعاف تنقل الشهداء والجرحى من المكان، بينما لا تزال حافلات وشاحنات تنقل المزيد من المتظاهرين إلى الحدود قرب الجولان المحتل.

وتمكن احد الشبان من تجاوز الخندق المحاط بسياج سلكي وقام برفع العلم الفلسطيني في المكان.

وقال شاب يدعى رشيد عبد الرحمن وهو يحمل قطعا من السلك الشائك الذي تمكن مع متظاهرين آخرين من قطعه، إن ثلاثة من المتظاهرين أصيبوا برصاص قناصة الجيش الاسرائيلي، الذي يتمركز في آلياته وعلى الأرض ويطلق النار على المتظاهرين.

من جانبه، حمل الناطق الرسمي باسم الجيش الاسرائيلي افيحاي ادرعي، النظام السوري المسؤولية الكاملة عن الأحداث التي وقعت اليوم في الجولان وأدت الى استشهاد 12 مواطنا.

وقال ادراعي إن اسرائيل لن تسمح بتصدير الأزمة السورية إلى الداخل الاسرائيلي وعلى حدودها، مضيفا "سنحافظ على الحدود والأمن الاسرائيلي".

وأضاف قائلا: "ان استخدام الرصاص الحي كان آخر خيارتنا.

حماس مستعدة لتشكيل حكومة يقبلها الغرب

أكّد نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس موسى أبو مرزوق استعداد الحركة لتشكيل حكومة تَحْظَى بقبول الغرب، وذلك لكي لا يكون أمام إسرائيل مبررات لتمديد الحصار المفروض على الفلسطينيين.

وقال أبو مرزوق في تصريح لهيئة الإذاعة البريطانية: "إنّ هذه الحكومة ستكون لها انعكاسات كثيرة سواء قبول الرباعية والغرب لها وأيضًا فيما يتعلق بكيفية تعامل إسرائيل مع هذه الحكومة لذلك أخذنا كل هذا في الاعتبار؛ لأننا معنيون بتشكيل حكومة لا تفرض حصارًا على الشعب الفلسطيني".

وأضاف: "هذه الحكومة ستكون حكومة كفاءات، وليست حكومة سياسية وتستمر لمدة عام، وستتعامل مع قضايا محدّدة يتعين عليها أن تنجزها". وانطلقت بمقرّ جهاز المخابرات المصرية جولة جديدة من المباحثات بين حركتي "فتح" برئاسة عزام الأحمد و"حماس" برئاسة الدكتور موسى أبو مرزوق بمشاركة مسئولين مصريين من أجل استكمال بلورة آليات تنفيذ اتفاق المصالحة وعلى رأسها تشكيل حكومة المستقلين التي ستتحمل مسئولية وضع الاتفاق موضع التنفيذ.

الإندبندنت: الأزمة السورية تنتقل لتركيا

ذكرت صحيفة "الإندبندنت" البريطانية أنّ تركيا أصبحت تُواجه أزمة تعَدّت وصول أكثر من ثمانية آلاف لاجئ سوري إليها.

وتقول الصحيفة: إنّ الحساسيات الطائفية والتي تصل إلى حدّ اتهام الجيش السوري من سكان القرى المحيطة بجسر الشغور بارتكاب أبشع الفظائع بحق أبناء جسر الشغور وهناك مخاوف في تركيا من انتقال هذه المشكلة الطائفية إليها.

وأشارت الإندبندنت إلى أنّ العلويين يشكلون نصف سكان إقليم الإسكندرون التركي البالغ عدد سكانه مليون ونصف المليون نسمة وهو الإقليم الذي وصل إليه النازحون السوريون.

ومن المقرّر أن يقوم العلويون في تركيا بمظاهرة أخرَى ضد استقبال تركيا للنازحين السوريين الأسبوع المقبل مما ينذر بتوتر بين الأتراك السنة والعلويين.

اختراق الموقع الإلكتروني لمجلس الشيوخ الأمريكي

أكّد مجلس الشيوخ الأمريكي أن موقعه على شبكة الإنترنت تعرَّض للاختراق خلال عطلة نهاية الأسبوع، في حين قالت المجموعة المتسلِّلة إنها لا تحب أمريكا.

وقال ضابط الأمن بمكتب الأسلحة في المجلس: إنه رغم أن هذا الاختراق يعتبر "أمرًا مزعجًا" فإنه لم ينلْ من أمن شبكة مجلس الشيوخ أو أعضائه أو الموظفين على وجه التحديد. وأضاف ضابط الأمن بمكتب الأسلحة أنه أمر بمراجعة جميع المواقع الخاصة بمجلس الشيوخ الأمريكي.

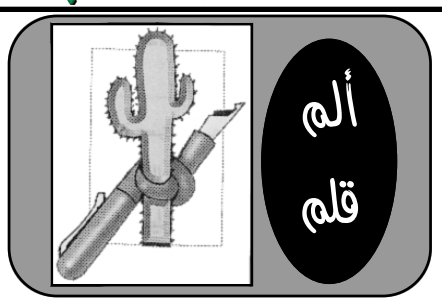

لِمَ دعا القرآن الكريم إلى حسن الاستماع

ذكر العلماء قديما أن السمع أول حاسة تشتغل عند الإنسان، اعتمادا على قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَاالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ، قال ابن كثير: "ثم بعد هذا يرزقهم السمع الذي به يدركون الأصوات، والأبصار التي بها يحسون المرئيات، والأفئدة: وهي العقول التي مركزها القلب على الصحيح، وقيل: الدماغ. والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها، وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدريج قليلاً قليلاً، كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده". ومن ثم كان السمع مقدّما في الذكر والمسؤولية على الحواس الأخرى، كما يبدو واضحا من خلال قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾. ولهذا قال أبو الدرداء: "أنصف أذنيك من فيك، فإنما جُعل لك أذنان اثنان وفم واحد، لتسمع أكثر مما تقول".

ولعل ما كان من ديدن زعماء المشركين منذ بداية تنزّل الوحي من الصدّ عن الاستماع للقرآن الكريم حتى، ولو كان مجرد استماع، يأتي من إدراكهم أن الاستماع إلى الكلام الجميل يؤثر لا محالة في المتلقي، قياسا على ما كان من استماعهم للشعر وتلقيهم له، لذا منعوا عامة الناس من الاستماع إلى القرآن الكريم، وحتى إذا ما تم الاستماع إلى شيء معين فينبغي التشويش على ما تم الاستماع إليه حتى لا يستقر سليما في الإدراك؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ ومعناه كما يقول ابن كثير: أنهم "تواصوا فيما بينهم أن لا يطيعوا للقرآن، ولا ينقادوا لأوامره، ﴿وَالْغَوْاْ فِيهِ﴾ أي: إذا تلي لا تسمعوا له، كما قال مجاهد. والغوا فيه، يعني: بالمكاء والصفير، والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن، وكانت قريش تفعله. وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿وَالْغَوْاْ فِيهِ﴾ عيبوه، وقال قتادة: اجحدوا به، وأنكروه وعادوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾، هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن. وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بخلاف ذلك، فقال تعالى:﴿وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. لأن الاستماع والإنصات إلى القرآن الكريم في حد ذاته خطوة أولى في طريق التعبد به وازدياد الإيمان بالنسبة للمؤمن، أو الاقتناع به ثم الإيمان به واتباعه بالنسبة لغير المؤمن.

ومن هنا كان تأكيد القرآن الكريم أن من صفات المؤمنين الاستماع إلى القول والعمل به، كما في قوله تعالى: ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾، لأن من صفاتهم أن يستمعوا القول فيتبعون أحسنه. على عكس من سبق من أهل الكتاب الذين حرفوا ما أنزل إليهم واشتهروا بالعصيان والجحود، فقال جل ذكره عنهم: ﴿قالوا سمعنا وعصينا﴾. كما حذر تعالى المؤمنين من الوقوع فيما وقع فيه المشركون، فقال: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ. وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾. إلى غير ذلك من الآيات التي يمكن أن يستخلص منها بصورة عامة أن للتلقي أهمية كبرى في الإدراك الحقيقي لمدلول الخطاب.

ولقد علمنا رسول الله ﷺ في سنته القولية والفعلية حسن الاستماع إلى المتكلم أيّا كان موقعه ومقامه، ففي الحديث المشهور: «نضر الله امرأ سمع منا حديثا، فأداه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع» وهو يدل على أن السامع قد يكون على درجة عليا من الوعي والإدراك والقدرة على الاستنباط. ويعزز هذا الحديثَ الحديثُ الآخر الذي قال فيه الرسول ﷺ : «إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت». الذي يشير بكل وضوح إلى ضرورة حسن الاستماع إلى الخطيب يوم

.....تتمة ص: 12

د. عبد الرحيم بلحاج

قوانين القرآن الكريم

16

لخبير الجمال الدعوي الدكتور محمد راتب النابلسي

قانون الحب في الله والحب مع الله

بين يدي القانون

...لا زلنا في قوانين القرآن الكريم، والقانون اليوم قانون الحب: الحب في الله، والحب مع الله... العلماء قالوا: الحب في الله عين التوحيد، والحب مع الله عين الشرك. والإنسان كما تعلمون كائن من أرقى الكائنات، هو في الحقيقة عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك؛ غذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب. وأي إنسان لا يجد رغبة في أن يُحِب، أو في أن يُحَب ليس من بني البشر، لأن الله عز وجل ركبه كعقل وكقلب، والله عز وجل خاطب عقله، وخاطب قلبه، وفي بعض الآيات خاطب عقله وقلبه معا في آية واحدة. قال تعالى : ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك﴾(الانفطار : 6- 7) خاطب قلبه أولا "ما غرك بربك الكريم" ثم خاطب عقله "الذي خلقك فسواك فعدلك".

... بادئ ذي بدء يجب أن نعلم علم اليقين، أن الله عز وجل خلقنا ليسعدنا. قال تعالى : ﴿إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾(هود : 119) بل حينما قال الله عز وجل : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(الذاريات : 56) العبادة معرفة بالله أولا، وطاعة له ثانيا، وسعادة أبدية ثالثا؛ إذن خلقنا ليسعدنا.

شيء آخر، الله عز وجل هو خالقنا ومربينا ومسيرنا، ومشيئته نافذة فينا، كن فيكون، زُلْ فيزول، ومع ذلك ما أراد أبدا أن تكون العلاقة بيننا وبينه علاقة قهر، أرادها أن تكون علاقة حب، فقال ﴿يحبهم ويحبونه﴾(المائدة : 54) أرادك أن تأتيه طائعا، أرادك أن تأتيه بمبادرة منك، أرادك أن تحبه، لذلك قال بعضهم "من أعجب العجب أن تعرفه ثم لا تحبه" بل من أعجب العجب أيضا أن تحبه ثم لا تطيعه. إذن حينما قال تعالى : ﴿يحبهم ويحبونه﴾(المائدة : 54) أراد الله أن تكون المحبوبية هي العلاقة الوحيدة بينه وبين عباده، لذلك قال تعالى : ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾(البقرة : 164).

من هنا ينطلق القرآن الكريم من التأكيد على الحب، ويرفض الإكراه فيقول الله عز وجل : ﴿لا إكراه في الدين﴾(البقرة : 255) فإذا كان خالق السموات والأرض، ومن بيده كل شيء، ما أراد أن يكرهنا على اعتناق دينه، أفَيُعْقل لإنسان في الأرض أن يكره الخلق على دين معين؟! هذه القضية قضية حرية، والله عز وجل أعطانا الحرية ليثمن عملنا، ولا قيمة لعملنا إلا إذا كنا أصحاب إرادة حرة، لذلك قال بعض العلماء الكبار **"لو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب، ولو أجبرهم على المعصية لبطل العقاب، ولو تركهم هملا لكان عجزا في القدرة. إن الله أمر عباده تخييرا، ونهاهم تحذيرا، وكلف يسيرا، ولم يكلف عسيرا، وأعطى على القليل كثيرا"** إذن أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون العلاقة بيننا وبينه علاقة حب، لكن الحب في الأصل لمن منحك نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والرشاد.

... نعمة الإيجاد ﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾(الإنسان : 1).

شيء آخر الله عز وجل أعطانا نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، أمدنا بالهواء، بالماء، بالطعام، بالشراب؛ أكرمنا بأزواج، بأولاد؛ كل هذه النعم منحة من الله عز وجل، فلذلك أراد أن تكون العلاقة بيننا وبينه علاقة حب، من هنا ورد في بعض الآثار "ذكرهم بآلائي ونعمائي وبلائي" أي ذكرهم بآلائي كي يعظموني، وبنعمائي كي يحبوني، وببلائي كي يخافوني.

الحب في الله عين التوحيد

... إلا أن الله سبحانه وتعالى ما قبل دعوى محبته إلا بالدليل فقال : ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم﴾(آل عمران :31).. إذن أن يدعي الإنسان محبة الله من دون دليل، هذه دعوى لا وزن لها إطلاقا عند الله.

"من أعجب العجب أن تعرفه ثم لا تحبه" بل من أعجب العجب أيضا أن تحبه ثم لا تطيعه. إذن حينما قال تعالى : ﴿يحبهم ويحبونه﴾(المائدة : 54) أراد الله أن تكون المحبوبية هي العلاقة الوحيدة بينه وبين عباده، لذلك قال تعالى : ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾(البقرة : 164)

تعصي الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقا لأطعته
إن المحب لمن يحب يطيع

لذلك الإعجاب السلبي بالدين، الموقف البعيد عن الالتزام، هذا لا يرفع الإنسان إلى طاعة الله، ولا إلى عبادته، لذلك قال تعالى : ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا﴾ أي لم يتحركوا، لم يلتزموا، لم يأخذوا موقعا ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾ (الأنفال :72).

... كلمة "ولي الله" كلمة متداولة كثيرا، وقد فسرها بعض المفسرين تفسيرات غريبة وبعيدة عن حقيقتها، لكن التفسير القرآني لولي الله رائع وواضح جدا. قال تعالى : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾(يونس : 62- 63).

فروع محبة الله تعالى

... الآن هناك شيء دقيق هو أن حب الله هو الأصل، لكن هذا الأصل له فروع، فمحبة أنبياء الله جميعا الذين هم قمم البشر فرع من محبة الله، بل محبة سيد الأنبياء والمرسلين.. فرع آخر من فروع محبة الله عز وجل، بل محبة أصحاب رسول الله جميعا من دون استثناء فرع من محبة الله عز وجل، بل محبة المؤمنين من بعثة هذا النبي الكريم إلى نهاية الدوران فرع أيضا من محبة الله عز وجل، بل حب الأعمال الصالحة، حب خدمة الخلق، حب البذل والتضحية، حب بيوت الله، حب المساجد، حب تلاوة القرآن، هذه كلها فروع من محبة الله؛ لذلك قال العلماء "الحب في الله عين التوحيد"...

الحب مع الله عين الشرك

... اتضح من قبل أن الحب في الله عين التوحيد، ولكن الخطير أن الحب مع الله عين الشرك. هناك آية خطيرة جدا وهي قوله تعالى : ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾(التوبة : 24) يعني إذا أحببت جهة كائنة من كانت، هذه الجهة ليست على ما يرضي الله، بل هي ظالمة، أحببتها لمصلحة تحققها من هذا الحب، لمكسب أو لاتقاء شر، هذا الحب يعد عين الشرك، فالذي يحب إنسانا لا يطيع الله عز وجل، لأنه قوي أو غني، يحقق له مكاسب في الدنيا، هذا الحب سماه العلماء حبا مع الله، وهو عين الشرك، أي أنك إذا أحببت جهة لا ترضي الله، فالطريق إلى الله ليس سالكا، والدليل ﴿فتربصوا حتى ياتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾(التوبة :24).

من هنا تتضح هذه الحقيقة من حديث شريف، يقول النبي ﷺ : «ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» هنا الشاهد، قد يفهم من هذا الكلام أنك إذا سألت مليار وخمسمائة مليون مسلم: ألا تحب الله ورسوله أكثر من أي شيء؟ فالجواب نعم(1)، ليس هذا هو المعنى. أن يكون الله في قرآنه، والنبي عليه الصلاة والسلام في سنته أحب إليك من مصالحك المتوهمة القريبة، تضعها تحت قدمك، وتؤثر طاعة الله عز وجل، عندئذ تذوق حلاوة الإيمان التي من ذاقها عرفها، ومن ذاقها سعد بها في الدنيا والآخرة، ومن ذاقها قدم الغالي والرخيص والنفس والنفيس، وأصبح مؤمنا متألقا كما يرضي الله ورسوله.

... نحن مع موضوع خطير هو الحب في الله وهو عين التوحيد، والحب مع الله وهو عين الشرك. إذن أرجو الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا الصواب، وأن نجعل من حبنا أداة للتقرب من الله عز وجل، لا أن يكون الحب حجابا بيننا وبين الله.

إلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى...

1- لعل فضيلة الأستاذ الدكتور حفظه الله أراد أن يقول "بلى"

مواقف وأحوال

من بيتكم خرج الورع

أيها السادة:

ذكر الشيخ أبو القاسم القشيري في رسالته المشهورة، في باب الورع قصص جماعة من العلماء والعباد، تبين خوفهم من الوقوع في المعصية، وإشفاقهم على أنفسهم من الحرام نذكر منها ما يلي:

القصة الأولى:

رهن أحمد بن حنبل، رحمه الله تعالى، سطلا له عند بقال بمكة، حرسها الله تعالى، فلما أراد فكاكه أخرج البقال إليه سطلين، وقال: خذ أيهما هو لك،

فقال أحمد: أشكل علي سطلي، فهو لك، والدراهم لك،

فقال البقال: سطلك هذا، وأنا أردت أن أجربك،

فقال: لا آخذه، ومضى وترك السطل عنده.

القصة الثانية:

قيل: جاءت أخت بشر الحافي إلى أحمد بن حنبل وقالت: إنا نغزل على سطوحنا، فتمر بنا مشاعل الظاهرية، ويقع الشعاع علينا، أفيجوز لنا الغزل في شعاعها؟

فقال أحمد: من أنت؟ عافاك الله تعالى.

فقالت: أخت بشر الحافي.

فبكي أحمد وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق، لا تغزلي في شعاعها.

القصة الثالثة:

قيل: خاطت رابعة العدوية شقاً في قميصها في ضوء مشعلة سلطان، ففقدت قلبها زماناً، حتى تذكرت، فشقت قميصها، فوجدت قلبها.

القصة الرابعة:

قيل: إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة، فلم يصح له أن يأكل شيئاً من تمر البصرة، ولا من رُطَبها، حتى مات ولم يذقه، وكان إذا انقضى وقت الرطب قال: يا أهل البصرة، هذا بطني ما نقص منه شيء ولا زاد فيكم.

القصة الخامسة:

قيل: رجع ابن المبارك من مرو إلى الشام في قلم استعاره فلم يرده على صاحبه.

القصة السادسة:

استأجر النخعي دابة، فسقط سوطه من يده، فنزل، وربط الدابة، رجع فأخذ السوط، فقيل له: لو حولت الدابة إلى الموضع الذي سقط فيه السوط فأخذته كان أسهل لك فقال: إنما استأجرتها لأمضي هكذا.. لا هكذا!!

فانظر -رحمك الله- إلى إشفاق هؤلاء الصالحين على أنفسهم ورعا وخوفا من الله عز وجل، وإلى استمراء أهل زماننا الحرام البيّن، وانغماسهم فيما لا شبهة لهم فيه، واحذر أن تكون من الغافلين، فقد رأينا ناسا يتقاضون أجورهم كاملة، ولا يقومون بواجباتهم، منهم معلمون وأطباء ومسؤولون في مجالات مختلفة، وإدارات متعددة، وإنما القصد التذكير.

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

قاعدة سد الذرائع

سعود بن إبراهيم الشريم

الخطبة الأولى

أما بعد: فأوصيكم -أيها الناس- ونفسي بتقوى الله سبحانه، والعضِّ على دينه بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ مُحدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المحسنِينَ﴾(يوسف: 90).

أيّها الناس، لا يشكُّ أحدٌ ذو لُبٍّ يعي أو عَين ترمُق أننا نُعالجُ زمنًا اتَّسعت فيه الثقافاتُ والمعارفُ بحلوها ومُرِّها، وزَيْنها وشَيْنها، وكبيرها وصَغيرها، وسهُلت طريقةُ الوصول إليها حتى درجة الابتذال المُفقد لقيمَتها وأثرها، في صورة لم تكن لمن قَبلَنا. بَيْد أنَّ القُرَّاء ليسوا كأولئك القُرَّاء، والمُفكِّرين ليسوا كأولئك المُفكِّرين؛ حيث إنَّ هذا الاتساعَ برُمَّته لم يكن خيرًا كلُّه، كما أنه ليس شرًا كلُّه، كما أنّ هناك خَلطًا وعصفًا ذهنيًا خارج طاولة الاختصاص، فأصبح الحديثُ عن المعارف والثقافات والمسائل وقضايا الناس العامّة كلأً مُباحًا لكلِّ أحد كيفما اتَّفق، فقلَّ الفقهاء، وضعُف المُدقِّقون ذوو الأفهام الذين يُحسنون الرَّبطَ بين المُتماثلات، والفَرزَ بين المُختلفات، فجُمع بين المُتعارضَيْن، وأُلِّف بَين المُتناقضَيْن قسرًا بلا معيار.

وإننا لو نَظَرنا نظرةً مُجملةً إلى الضَّرورات التي أجمعت الشرائعُ السماوية على حفظها وحمايتها لوجدناها خمسَ ضرورات، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض، وأنه لا يمكن لأيّ شريعة أن تُهمل واحدًا منها، كما لا يمكن لأي مجتمعٍ بشَري أيًا كان تديُّنه وملَّتُه ووعيُه أن يُكتبَ له البقاء إذا لم يكن حفظُ هذه الضرورات غايةً من غاياته.

وبما أن الشريعةَ الإسلامية هي خاتمةُ الشرائع؛ فإنها جاءت جامعةً مانعَة لما يُحقِّق حفظَ هذه الضرورات بكلّ وجه من الوجوه المُمكنة، فقَد يكون الحفظُ تارةً عن طريق النَصوص الصريحة الصحيحة في كلّ ضرورة، وقد يكون في الإجماع أو القياس تارةً أخرى، كما أنّه قد يكون تارات أخرى في قاعدة مشهورة لا يمكن تجاهُلها، وهي القاعدة المعروفة بسدّ الذرائع أو فتحها، وهي التي تعنينا في مقامنا هذا.

فالذريعةُ -عباد الله- هي: ما كان وسيلةً وطريقًا إلى الشّيء، وهذا هو أصلُها في اللّغة، ولكنّها صارت في عُرف الفقهاء عبارةً لما أفضَت إلى فعلٍ مُحرَّم. هذه هي الذريعةُ يا رعاكم الله.

وأما سدُّها فإنه يعني: تركَ مباشرتها، أو الحيلولة بينها وبين المقصودِ المُحرَّم بحائل ماديّ أو معنويّ.

وإنَّه ما من شيءٍ في الشّريعة الإسلاميّة إلا وهو راجعٌ إلى مسألة الذرائع سدًا أو فتحًا؛ فالمُحرَّمات ذَريعةٌ إلى النّار، والواجبات والسنن ذريعةٌ إلى الجنّة، فما أدّى إلى الجنة من الذرائع فُتِح، وما أدّى إلى النّار سُدَّ.

وإذا علمنا ذلكم -عباد الله- فلنعلَم أن قاعدةَ سدِّ الذرائع وفتحها قد أوجزَ الحديثَ عنها العلامةُ ابن القيم -رحمه الله- في عبارات مُوجزة حيث قال: "لما كانت المقاصد لا يُتوصَّل إليها إلا بأسباب وطرق تُفضي إليها كانت طُرُقها وأسبابُها تابعةً لها مُعتَبرةً بها، فإذا حرَّم الربُّ تعالى شيئًا وله طرقٌ ووسائل تُفضي إليه فإنه يُحرِّمها ويمنَع منها؛ تحقيقًا لتحريمه، وتثبيتًا له، ومنعًا أن يُقرَبَ حماه، ولو أباحَ الوسائلَ والذرائع المُفضيةَ إليه لكان ذلك نقضًا للتّحريم، وإغراءً للنّفوس به، وحكمةُ الله تعالى وعلمُه يأبى ذلك كلَّ الإباء". انتهى كلامه رحمه الله.

ثم لتعلَموا -عباد الله- أنَّ قاعدةَ سدِّ الذرائع ليست بدعًا من المسائل، ولا هي ظنًّا أو خَرصًا يُدلي به الخرَّاصون. كلا؛ بل هي قاعدةٌ ثابتةٌ بالشرع والعقل.

فمن الشرع: قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(الأنعام: 108)، فنهى الله جلّ وعلا عن سبِّ آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحةٌ، إلا أنه يترتَّب عليه مفسدةٌ أعظم منها، وهي سبُّ المشركين اللهَ عز وجل. وهذا دليلٌ على منع الجائز إذا كان يُفضي إلى محرَّم.

ومنه: قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُومنِينَ يَغُضُّوا مِنْ ابْصَارِهِمْ﴾(النور: 30)، وقوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُومِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ ابْصَارِهِنَّ﴾(النور: 31)، والنظرُ في حدِّ ذاته مُباحٌ؛ بل هو نعمةٌ من الله على عباده، ولكن لما كان نَظرُ الرجال إلى النساء ونَظرُ النساء إلى الرجال وَسيلةً قد تُفضي إلى الفتنة أمر الله بغضِّ البصر إلى غير المحارم.

وقد جاء في سنَّة المصطفى ما يدلُّ على ذلكم؛ فقد قال ﷺ: «إيّاكم والجلوسَ في الطرقات»، فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بُدٌّ نتحدَّث فيها، فقال رسول الله ﷺ: «فإذا أبيتم إلا المجلسَ فأعطوا الطريق حقَّه»، قالوا: وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟ قال: «غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»(متفق عليه). فانظروا -يا رعاكم الله- كيف نهاهم عن الجلوس في الطرقات مع أنَّ أصل الجلوس مُباح، ولكنه إذا كان سبيلاً إلى النظر إلى ما حرَّم الله أو وقوع الأذى فإنه يُمنع سدًا لذريعة المخالفة لأوامر الله ونواهيه.

وأمّا دليل سدِّ الذرائع من جهة العقل: فإننا نَعجزُ جميعًا عن حَصر ذلكم؛ بل لن نُبعد النَّجعةَ لو قلنا: **إنّ حياتنا اليوميّة مليئةٌ بقاعدة سدِّ الذرائع أو فتحها، ولا يُنكِر ذلك إلا غرٌّ مُكابِر. ألسنا نمنع أطفالنا من تناوُل الحلَوى سدًا لذريعة التسوُّس؟! ألسنا نمنعُ قطعَ إشارات المرور سدًا لذريعة الحوادث؟! ألسنا نمنعُ السرعة الجنونية سدًا لذريعة الهلاك؟! ألسنا نمنعُ استهلاك العقاقير إلا بوصف الطبيب سدًا لذريعة الوقوع في الخطر؟!**

وهكذا الأمرُ دواليك، لا نكاد نُصبح ونُمسي إلا وتمرُّ بنا قاعدةُ سدِّ الذرائع في حياتنا، غيرَ أنَّ سوء فهم البعض لهذه القاعدة المهمّة أنهم قصَروا المحرمات على ما جاءت به النّصوص صراحةً فحَسب، وهنا مكمنُ النّقص؛ لأنّ بعض الأفهام لا تقنَع بمنعٍ أو تحريمٍ يخرُج عن هذا الإطار؛ بل وصَل الأمر ببعضهم إلى الهمز واللمز بمن يُعملون قاعدةَ سدِّ الذرائع على وجهها الصحيح؛ حيث أصبحَت إدانتُها وتهوينُها تُكأةً يتّكئُ عليها المُعارضون لها، فلاكُوها بأفواههم وقد خلَت بها المثُلات، وتلاعَبَت بها أمواجُ التأويلات والآراء والأهواء. وليس أساس البلاء في الشعارات، وإنما هو في الرُّؤى والمضامين، وقديمًا قيل: "تحت الرّغوة اللبنُ الصريح".

إنه لا أحدَ يستطيع أن يحيا على هذه البسيطة دون أن يتعاملَ مع قاعدة سدِّ الذرائع وإحسان إيجادها في كلّ ضرورة من الضرورات الخَمس التي سبق ذكرُها، حسَب ما تتطلَّبه حالُ كلّ ضرورة، **ولو أخذنا بقول المُعارضين لقاعدة سدّ الذرائع لَمَا حرَّمنا المُخدِّرات، ولا غَسيل الأموال، ولا الاتِّجارَ بالبشر، ولا أسلحةَ الدمار الشامل، ولا كثيرًا من أمثال ذلكم.**

ثم إنّه قد يُلاحظ المتأمِّل أنَّ القاسمَ المشترك بين تلكم الضرورات الخمس هو عنصر الأمن، فلا تديُّن بلا أمن، ولا نفسٌ مستقرةٌ بلا أمن، ولا مالٌ ثابتٌ بلا أمن، ولا عقلٌ مُتَّزنٌ بلا أمن، ولا عرضٌ سالمٌ من الأذى بلا أمن. وهنا تبرُز الدقةُ في الفقه والإدراك للواقع الذي يُؤلِّف بينهما تحقُّق عنصر الأمن بوجود الشيء وعدمه، سواءٌ كان أمنًا فكريًا أو ماليًا أو غير ذلك. وهذه مسألةٌ لا يُدركها إلا صَيارفةُ الفقه والوعي للوقائع والمآلات الذين تحكُمهم المصلَحةُ العامّةُ لحماية كلِّ ضرورة دون مُزاحمة فكرية مُعاكسة، أو استفزاز إعلامي، أو حراك ثقافيٍّ مُشوَّش، حتى يكون تكييفُ المسائل وإقرارُها بعيدًا عن أيّ مُشوِّش وجودًا وعدمًا، إيجابًا وسلبًا.

وإذا كان النبيّ ﷺ نهى أن يقضيَ القاضي وهو غضبان في مسألة فردية حقوقيّة؛ فكيف بالقضايا الكبار التي تمسُّ جميعَ شرائح المجتمع؟! وإنه متى وقَع مثلُ ذلكم في الخائضين في مثل تلكم القضايا فسيكونون للزَّلَل أقرب، ومن الصواب أبعد؛ بل ربما صار بينهم وبين الصّواب مفاوزُ ومهامه.

إنّنا بحاجة ماسّة إلى تهيئة أجواء تُبرزُ الفقهاءَ والمُفكِّرين والمُثقَّفين الذين تتوفَّر فيهم القوّة الفقهيّة والقوة الواعية لما عليه الناس، وما عليه العَصر؛ إذ هما مُتلازمان تَلازمًا لا يجوزُ انفكاكُه للفَقيه والمُفكِّر والمُثقَّف الذي يريد أن يكونَ له أثرٌ في الأمّة ليُوجِد حلولاً لمُشكلاتهم، وليربطَ بين أحكام الشريعة ومُستجدَّات العصر ونوازله؛ ليُعلَم ما يصحُّ منها وما لا يصحّ، وهذا لا يكون إلا لمن جمَع بين الدليل الشرعيّ وبين الواقع العمليّ؛ ولهذا فرَّق الإمام القرافيُّ -رحمه الله- بين أدلّة الأحكام وأدلّة وقوع الأحكام؛ إذ ما كلّ من علمَ الحكمَ استطاعَ أن يُنزِّله على الواقع، كما أنّ مَن يعلم الواقع لا يستطيع أن يحكم عليه إذا لم يُتقن الدليل.

ومن هنا جاء الانفكاكُ في كثير من مسائل العصر؛ فإما قوةُ فقه تفتقرُ إلى إدراك لواقع الحال، أو فهمٌ واستيعابٌ لواقعِ الحال دون فقه دقيق، وكلاهما مُؤخِّرٌ للوصول إلى مُبتغاه؛ ولذا كانت مواقف السلف الأفذاذ الذين أصَّلوا الشريعة وقعَّدوا لها القواعد المُنتظمة مع مقاصد الشارع الحكيم ظاهرةً جليَّة لكل سابرٍ أقوالهم، فكان من أجمع ما ذكروه حول هذه القاعدة أن قالوا: إذا تعارَضت مفسدةٌ ومصلحة، فإن كانت المفسدةُ أقوى وجبَ درءُها، وهذا ما يُسمَّى: سدَّ الذرائع، وإن كانت المصلحةُ أقوى وجبَ اختيارُها، وهذا ما يُسمَّى: فتح الذرائع.

ومن رزقه الله العلمَ والخشية رزقَه الله البصيرةَ والتوفيقَ، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ انَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ المشْرِكِينَ﴾(يوسف: 108).

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم، قد قلتُ ما قلت، إن كان صوابًا فمِنَ الله، وإن كان خطأً فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله إنه كان غفَّارًا.

الخطبة الثانية

الحمد لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيِّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد: فاتَّقوا الله عبادَ الله، واعلَموا أنّ مسألة سدّ الذرائع وفتحها مسألةٌ جدُّ مهمة؛ لأنها تمسُّ كثيرًا من جوانب حياتنا، فإنه مُخطئٌ من يردُّها هكذا سبهللاً، ومُخطئٌ أيضًا من يأخذها على مصارعَيْها دون ضبط أو فقه لمضامينها، والاعتدالُ هو قسُّ الانضباط. وقد قال الإمام القَرافيُّ رحمه الله: "إن الذريعة كما يجبُ سدُّها فإنه يجبُ فتحُها، ويُكرَه ويُندَب".

ويقصدُ بذلكم -رحمه الله- أنها تجري عليها الأحكام التكليفيةُ الخمسة، وهي: الوجوب، والتحريم، والكراهة، والندب، والإباحة، كل حالٍ بحسبها، غير أنّ هذا الفهم والإدراك لن يتمَّ لكاتب ليس بفقيه، ولا لغَيور ليس بفقيه، ولا لمُفكِّر ليس بفقيه، ولا لإعلاميٍّ ليس بفقيه.

فيا ليتَ شعري، هل نُدرك جميعًا أن قضايانا الكبارَ لا يصلُح لها إلا الكبار؟! حتى لا تزلَّ قَدمٌ بعد ثُبوتها، ولا يُنقَضُ غزلٌ من بعد قوة أنكاثًا. ولله، ما أحسن ما ذكره ابن تيمية -رحمه الله- في هذا الباب! حيث قال: "لقد تأمَّلتُ ما أوقعَ الناسَ في الحيَل فوجدتُّه أحدَ شيئين:

إمّا ذنوبٌ جُوزوا عليها بتضييق في أمورهم، فلم يستطيعوا دفعَ هذا الضيقِ إلا بالحيَل، فلم تزدهم الحيَلُ إلا بلاءً، كما جَرى لأصحاب السَّبت. وهذا الذنب ذنبٌ عمليٌّ.

وإما مُبالغةٌ في التشدُّد لما اعتقَدوه من تحريم الشّارع، فاضطَرهم هذا الاعتقادُ إلى الاستحلال بالحيَل، وهذا من خطأ الاجتهاد، وإلا فمَن اتَّقَى الله وأخذ ما أحلَّه له وأدَّى ما وجبَ عليه فإنّه لا يُحوجُه إلا الحيَلَ المُبتدَعة أبدًا، فإنه سبحانه لم يجعَل علينا في الدّين من حرج، وإنما بعثَ نبيَّنا بالحنيفية السَّمحة.

فالسببُ الأول هو الظلم، والسببُ الثاني هو عدم العلم؛ فالظلمُ والجهلُ هما وصفٌ للإنسان المذكور في قوله تعالى: وَحَمَلَهَا الانْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(الأحزاب: 72)" انتهى كلامه رحمه الله.

وحاصلُ الأمر -عباد الله- هو أنّ أقوى الأسباب التي جعلت السلفَ الكرامَ يقولون بسدِّ الذرائع يرجعُ لأمورٍ ثلاثة:

أولها: كثرةُ الأهواء في الشهوات والشُّبهات.

وثانيها: كثرةُ الحيَل وتتبُّعها للفرار منَ المُحرَّم.

وثالثُها: الموازنةُ الدّقيقة التي تَغيبُ عَن كثيرٍ من المُتكلِّمين عن الحلال والحرام، وهي الموازنَة بين المصالح والمفاسد؛ حيث إنَّ المقرر أنّ درأ المفاسد مُقدَّمٌ على جلب المصالح.

ووصيةُ إمامنا وقدوتنا ﷺ قولُه: «فمن اتَّقى الشُّبهات فقد استبرأَ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشُّبهات وقع في الحرام، كالراعي يَرعى حول الحمَى يُوشك أن يرتعَ فيه»(رواه البخاري ومسلم).

هذا، وصلُّوا -رحمكم الله- على خير البرية...

الغاية من إرسال الرسل 3

التبليغ

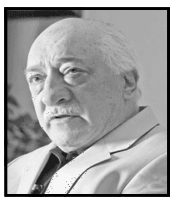

ذ. محمد فتح الله كولن

الغاية الأخرى من إرسال الأنبياء والمرسلين هو القيام بالتبليغ الديني. فلو لم يأتوا لما عرفنا المسائل المتعلقة بالعبادة ، ولما وصلتنا الأوامر والنواهي ولما عرفنا أبدا موقفنا من المحرمات كالخمر والميسر والزنا والاحتكار والربا. فنحن لم نعرف هذه الأمور وأشباهها إلا بوساطة الأنبياء، ونحن نسمي هذا الأمر بإيجاز "وظيفة الرسالة" حيث جاء الرسل والأنبياء جميعا بالرسالة نفسها مع اختلاف في الفروع والتفاصيل وبلغوا الشيء نفسه في الأمور الأساسية(1).

ويوضح القرآن الكريم الغاية العامة للأنبياء والرسل والوظيفة العامة لهم فيقول : ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا﴾(الأحزاب : 39).

إذن فقد جاؤوا لتحقيق هذه الغاية، وما كان يهمهم أبدا ولا يؤثر فيهم أبدا نوع العقبات المنتصبة أمامهم ولا الأشخاص الواقفون تجاههم، إذ ما كانوا يعرفون الخوف، فخوفهم وخشيتهم كانت من الله تعالى وحده.

وفي هذا المجال يخاطب الوحي رسولنا ﷺ فيقول : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾(المائدة : 67).

أي إنك إن قصرت في وظيفتك التي هي وظيفة تبليغ الرسالة فإن هذا التقصير لن يعد تقصيراً متعلقا بحياتك الشخصية والفردية، بل هو موضوع متعلق بالحياة الفردية والاجتماعية لكل الناس، ذلك لأن وظيفتك هي تنوير طريق الإنسانية كلها، فلو قصرت في إيفاء وظيفتك هذه حقها لبقيت البشرية جمعاء في الظلام. وفي الحقيقة فإن الرسول الكريم كان على يقين بمدى أهمية رسالته، ولولا ذلك لما أرسل بهذه المهمة ولما قدرت له هذه الوظيفة. بعد أن كلف رسول الله ﷺ بهذه المهمة المقدسة قضى حياته كلها في سبيل تبليغ الدين، فبدأ بطرق كل باب وبالبحث عمن يتوسم فيه قبول دعوته.

كان رد فعل الجبهة المعارضة هو إبداء اللامبالاة وعدم الاهتمام والمقاطعة في بداية الأمر، ثم انقلب إلى الاستهزاء والسخرية، وفي المرحلة الأخيرة تحول إلى استعمال القوة والعنف وتطبيق صنوف التعذيب، إذ بدأوا بإلقاء الأشواك في طريقه، ووضع الروْث على رأسه عندما يقف للصلاة..الخ من ألوان الإهانة والتحقير. ولكن رسول الله ﷺ لم يهن ولم ييأس ولم تفتر عزيمته، ذلك لأن مهمته هذه كانت سبب مجيئه للدنيا وهدفا لها. فدعا الجميع -ومنهم أعداؤه الألداء- مرات عديدة وبلغهم الرسالة الإلهية. أجل، فمن يدري كم من مرة ذهب إلى أعداء الله وأعداء الدين مثل أبي جهل وأبي لهب وعرض عليهم الهدى والحق، فكان يتجول في الأسواق ويزور الناس في خيامهم خيمة خيمة لعله يكون وسيلة لهداية أحدهم.. ولكن الأبواب كلها كانت توصد في وجهه، ومع ذلك يذهب ويطرق الأبواب نفسها ويكرر الكلام نفسه... وعندما قطع الأمل عن مكة ذهب إلى الطائف، وكانت مكان نزهة وبساتين، فقابله أهل الطائف - الذين أبطرتهم النعم وأعماهم الترف- شر مقابلة وفاقوا في ذلك أهل مكة، فاجتمع صبيانهم وسفهاؤهم وأخذوا يقذفونه بالحجارة .. أجل، قذفوا بالحجارة فخر العالمين ومن تستحي الملائكة من التطلع إلى وجهه الكريم، وطردوه من الطائف، وكان زيد بن حارثة - ابنه بالتبني آنذاك - معه، ومع أن زيدا حاول أن يحمي بجسده رسول الله من هذه الحجارة المنهمرة عليه، إلا أن الجسد المبارك لرسول الله أصابته الحجارة وأدمته.

التجأ رسول الله ﷺ من هذا الوسط العدائي إلى ظل شجرة في بستان، وظهر جبريل الأمين أمامه قائلا له إنه مستعد لأن يرفع جبلا ويقلبه على رؤوس هؤلاء المتوحشين، ولكن رسول الله ﷺ لم يقبل ذلك مع أنه كان في غاية التأثر، ذلك لأنه في المستقبل البعيد قد يؤمن أحدهم، لذا قال لجبريل"لا".

ثم فتح يديه ودعا ربه : "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري. إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك. لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك".

"فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما، فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس وقالا له : خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل عداس ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له : كل. فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال : "بسم الله"، ثم أكل، ثم نظر عداس في وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله ﷺ : "ومن أهل أي بلاد أنت يا عداس، وما دينك؟" قال أنا نصراني وأنا رجل من أهل نينوى. فقال رسول الله ﷺ : "من قرية الرجل الصالح يونس بن متى" فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ﷺ :"ذلك أخي كان نبيا وأنا نبي" فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاء عداس قالا له، ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال : يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا. لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي"(2).

ولولا هذه الحادثة الأخيرة لعاد ﷺ محزونا ومهموما من الطائف.. ليس لما قاساه منهم، بل لأنه لم يعط الفرصة لتبليغ دعوته لأي منهم، ولكنه الآن فرح، فقد أصبح سببا في هداية عداس.

لقد كان ﷺ يمامة الأنبياء - إن صح التعبير- لا يفتر في البحث عن القلوب النقية المنفتحة على الحقيقة، وعن الوجوه المقبلة على الهداية، وعندما يجدها يتسرب إلى هذه القلوب ويهمس فيها إلهام روحه. وهكذا كلما زادت الحلقات والهالات حوله وتوسعت جن جنون أصحاب الكفر والضلالة.

وكلما جن الكفر في الوقت الحالي أمام الصحوة الإسلامية في شرق العالم وغربه أصبح يهذي، كان الكفر أيضا قد جن وهو يرى حلقات الأتباع وهي تزداد حول الرسول ﷺ.

وأدى هذا الجنون الذي أصاب الكفر إلى توهم أنهم يستطيعون إطفاء نور الله... ولكن هيهات.. فمحاولاتهم تلك كانت أشبه بمن يحاول إطفاء نور الشمس بأفواههم.. والشمس هنا تأتي من باب التمثيل وإلا فإن النور الذي أتى به كان يفوق نور الشموس، لأنه كان من نور الله عز وجل. والقرآن الكريم يصور حالتهم المضحكة هذه فيقول : ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويابى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾(التوبة : 32).

وفي القرن العشرين.. في أيامنا الحالية هذه انقدحت الشرارات في نفوسنا من المشعل الذي أشعله نبينا ﷺ، فسارت مئات الآلاف في طريقه وهم يحملون أرواحهم في أكفهم من أجله وأجل إعلاء دعوته. إذن، فالله عز وجل شاء أن تتجدد الآن تلك الهالة المحمدية، وأن تتكرر تلك السلسلة الذهبية، أما حقد الكفر وغيظه وشدته وحدته ومكره وخديعته فلن تستطيع الوقوف أمامها أو إيقاف سيرها.. أجل، فإن هذه البذور التي زرعها الإخلاص ستنبت عاجلا أم آجلا.. إن لم يكن اليوم فغدا، فالنور الذي نشره رسول الله ﷺ لن ينطفئ أبدا.

وعندما لم تعد مكة قادرة على إيوائه هاجر إلى المدينة لكي يستمر في نشر الهداية والنور هناك، ولكن كان عليه أن ينشغل مع اليهود والمنافقين هناك، وأن يقود الحرب ضد الكفار، وتنكسر سنه في الحرب ويدمى وجهه وأن يجوع ويظمأ، حتى أنه كثيرا ما كان يربط الحجر على بطنه من الجوع، وأن يستمر سائرا في دربه دون أي تراخ أو تباطؤ، فلم يتوقف أبدا عن إيفاء حق وظيفته في الدعوة، ولم يهمل لحظة واحدة مهمة التبليغ. فأوضح كل أمور الدين وشرح كل دقائقه وقام بمهمته في تبليغ دين الله أفضل قيام، ولم يهمل إرشاد الأفراد طوال إقامته في المدينة المنورة رغم كل مشاغله ونضاله مع الدول الأخرى ، فعندما يأتيه أعرابي ويسأله عن مسألة شرحها قبله مئات المرات لا يضيق به وبسؤاله، بل يشرحها له بكل سرور وبكل انشراح وبكل مودة.

إن رسولنا [تحمل عبئا كبيرا وثقيلا مثل عبء النبوة ثلاثة وعشرين عاما، وقام بإيفاء حق وظيفته بنجاح منقطع النظير لم يتيسر لأي صاحب دعوة آخر... وبمثل هذا الروح وبهذه المشاعر المضطرمة بحب الله كان يتقدم ويقترب من الهدف المنشود ومن النهاية المباركة

والتبليغ يعني إرشاد الناس إلى الصراط المستقيم. والحقيقة أن التبليغ هو سر إرسال الأنبياء وإرسال سلطان الأنبياء. هذا الصراط المستقيم الذي يعرفه كل المؤمنين ويجب أن يعرفوه جيدا، فنحن ندعو الله أربعين مرة أو أكثر كل يوم أن يهدينا إلى الصراط الذي سلكه الأنبياء والصديقون والشهداء، وأن يبلغنا مرامنا ومرادنا مثلهم. والصراط المستقيم طريق عريض، ولكل واحد نصيبه المعلوم منه، ذلك لأن خاتم الرسل أرسل رحمة للعالمين كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(الأنبياء: 157).

ثم إنه كان شاهدا ومبشرا ونذيرا كما تنص على ذلك الآية الكريمة : ﴿يا أيها النبيء إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾(الأحزاب :45).

إن رسولنا ﷺ تحمل عبئا كبيرا وثقيلا مثل عبء النبوة ثلاثة وعشرين عاما، وقام بإيفاء حق وظيفته بنجاح منقطع النظير لم يتيسر لأي صاحب دعوة آخر... وبمثل هذا الروح وبهذه المشاعر المضطرمة بحب الله كان يتقدم ويقترب من الهدف المنشود ومن النهاية المباركة.

وحج حجة الوداع، إذ حج مرة واحدة، ولأنه جمع بين الحج والعمرة فإننا نسمي ذلك ب"الحج الأكبر"(3) وفي هذا الحج ركب رسول الله ﷺ ناقته وبلغ كل ما يجب تبليغه مرة أخرى.. فمن قضايا القتل والفدية إلى حقوق المرأة... إلى قضايا الرب... إلى العلاقات بين الأقوام والقبائل.. إلى سواها من الأمور والمواضيع... بلغ كل ذلك مرة أخرى وكان يتوجه كل مرة إلى الجماعة المؤمنة قائلا :"ألا هل بلغت؟" فكانت ترد عليه : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فكان يشير بأصبعه إلى السماء وينكبها على الناس قائلا : "اللهم اشهد. اللهم اشهد" ثلاث مرات.(4).

لقد أدى مهمته بحق، وقام بالتبليغ على أفضل وجه، لذا فقد كان مستريح الضمير، مرتاح النفس، مطمئن القلب، وكان يتهيأ لملاقاة ربه.. كان إنسان مراقبة للنفس مراقبة حساسة جدا، لذا فقد قضى حياته كلها في إطار هذه المراقبة الحساسة يسائل نفسه : هل استطعت أن أبلغ رسالتي كما يجب؟ وهل عشت لتحقيق الهدف الذي من أجله أرسلني الله تعالى إلى الناس؟.

1- الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد. أي إن الأنبياء إخوة من ناحية الأب مع اختلاف أمهاتهم، أي إن الأنبياء يتفقون في أصل الدين وقاعدته وهي "التوحيد" ويختلفون في الفروع.(البخاري، الأنبياء 48، مسلم، الفضائل 145).

2- البخاري، بدء الخلق،7، مسلم، الجهاد111، البداية والنهاية لابن كثير، 166/3، السيرة النبوية لابن هشام، 2/63-60

3- الحج الأكبر: هو القيام بأداء العمرة والحج معا. علما بأن هناك اعتقادا خاطئا شاع بين الناس حول الحج الأكبر مفاده أن الحج الذي يصادف فيه يوم عرفة يوم الجمعة.

4- البخاري، الحج 132، المغازي 77، مسلم، الحج 147، ابن ماجة، المناسك 84، أبو داود، المناسك 56.

وظائف اللسان عند الإنسان

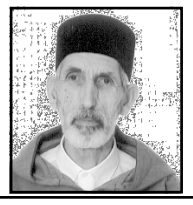

ذ. محمد الصباغ

اللسان نعمة :

إن من نعم الله على عبده، أن رزقه في جسمه من الأعضاء، ما يستطيع بواسطته أن يفكر ويسمع ويرى ويتكلم.. قال سبحانه : ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾(الذاريات: 21). فالعين والأذن والأنف واللسان.. أعضاء جعلها الله للإنسان نعما يخدم بعضها البعض من أجل إفادته واستمتاعه بكل ما لذ وطاب من خيرات ونعم لا تعد ولا تحصى. وقد وهبها الله له لكي يستعملها ويسخرها فيما يرضي الله ورسوله ﷺ، وهو مأمور بالمحافظة عليها لكي تؤدي وظيفتها على الوجه المطلوب الذي خُلقت من أجله ما دامت سالمة غير منقوصة.

منافع اللسان :

إن للسان الإنسان منافع كثيرة منها : تحريك الطعام في الفم والتمييز بين أذواق المأكولات والمشروبات، والتعبير عما يدور في الذهن من أفكار ومعلومات، وعما قامت أو سوف تقوم به الأعضاء الأخرى من أفعال وحركات، إيجابية أو سلبية صادقة أو كاذبة، فيقول مثلا : أنا قلت كذا أو فعلت كذا، أو سمعت أو رأيت كذا وكذا.. ولسان الإنسان كما هو معروف، يميزه عن غيره من المخلوقات الأخرى، التي رُزقت هذه الحاسة، ولكن شاء الله تعالى أن يجعل صوتها غير مفهوم لبني البشر، إلا لمن أراد أن يكون ذلك معجزة من معجزاته، كنبي الله سليمان عليه السلام. وإذا كانت كل من اليدين والرجلين لا بلد لها من الحركة للقيام بفعل الخير هنا أو هناك. فإن لسان الإنسان يقوم بفعل الخير مع الحركة وبدونها. فمنافعه مع الحركة مثلا : تتجلى في ذكر الله تعالى ، والدعاء إليه سبحانه، وتلاوة القرآن الكريم، وأداء شهادة الإيمان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأداء الشهادة لنصرة المظلوم، وقول الحق وما إلى ذلك من أعمال البر والتقوى. وسوف ينال القائم بهذه الأعمال بفضل الله تعالى، الأجر والثواب، إذا خلصت النية لله، وكان في منأى عن الرياء أو الأمل في تحقيق مصلحة ما. أما منافع اللسان بدون حركته، فتكمن في حبسه وإمساكه عن الكذب وشهادة الزور وإذاية الناس بما يتعارض مع كرامتهم الدينية والإنسانية. كالغيبة والنميمة وغيرها من المحرمات التي تضر من قام بها دنيا وأخرى. فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»(رواه أبو داود وصححه النووي).

وعن سهل بن سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ومن يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له الجنة»(رواه البخاري).

أضرار اللسان :

إذا كان الإنسان يعلم أن اللسان هو العضو الكائن في الفم، المحاط بالأسنان والأضراس والشفتين، وكأنه محروس داخل بيت مقفل ذو بابين، حتى لا ينفلت ويتيه كالفرس الجامح، خلافا لما هي عليه العين والأذن والأنف والأطراف، التي لها من الحرية حسبما يظهر ضعف ما هو عند اللسان، بناء على انفراده وحراسته، وعلى ما هي عليه من حرية وازدواجية، ويعلم كذلك أن اللسان بمقدوره أن يغير الحقائق ويقلبها رأسا على عقب، بحيث ينطق ويقول، خلاف ما رأته العين أو سمعته الأذن، أو قامت به الأطراف، وهي لا تقوى على تكذيبه وإثبات براءتها مما اتهمت به، وإنما تدعوه فقط لأن يتقي الله فيهن، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول : اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»(رواه الترمذي مرفوعا). فيجب عليه بعدما علم بذلك كله، أن يعمل على كبح جماح لسانه بسلاح العقل الذي وهبه الله له، والذي يستطيع بواسطته أن يميز بين الحق والباطل. والخير والشر، والطيب والخبيث، والصالح والطالح.. وأن لا يسمح له بهتك أعراض الناس بالغيبة والنميمة وغيرهما من الظلم والعدوان. قال الله تعالى : ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾(الحجرات : 12) وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : "يا معشر من آمن بلسانه ولم يومن بقلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضحه في جوف بيته»(رواه الإمام أحمد وأبو داود). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»(رواه مسلم). وعنه أيضا، قال : سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : «الأجوفان الفم والفرج»(رواه الترمذي وابن ماجة، وحسنه الألباني). وعن أبي موسى الأشعري قال : قلت يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟ قال : «من سلم المسلمون من لسانه ويده»(رواه البخاري ومسلم). ويستثنى من الغيبة، ما كان تظلما أو استعانة على تغيير المنكر، أو استشارة.. كما لو حدث مثلا، أن سألك رجل عن سيرة وسلوك شخص يريد أن يشاركه في التجارة، أو يقرضه قدرا من المال، أو يؤمنه على ماله أو أولاده، وكنت تعرف أن المسؤول عنه غير صالح لذلك، لأنه لا يتقي الله في نفسه، فلا تكتم شهادتك عنه، بدعوى أن ذلك غيبة، بل الواجب أن تذكر لأخيك ما فيه من عيوب ولا حرج عليك، عملا بحديث الرسول ﷺ الذي قال فيه : «حق المسلم على المسلم ست، إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له...»(رواه مسلم).

ذُكر عن لقمان أنه قال لابنه : يا بني من يصحب صاحب السوء لم يسلم، ومن يدخل مدخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم

وقد استشارت فاطمة بنت قيس رسول الله ﷺ، فقالت : أتيت الرسول ﷺ فقلت : يا رسول الله، إن أبا جهم ومعاوية خطباني؟ فقال لها رسول الله ﷺ : «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه»(رواه مسلم) وفي رواية أخرى عنه : «وأما أبو الجهم فضراب للنساء» وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا»(رواه البخاري). وقال الليث بن سعد أحد رواة هذا الحديث : هذان الرجلان كانا من المنافقين.

حفظ اللسان :

إن خير ما يحفظ به الإنسان لسانه السكوت، لأن السلامة تكمن فيه، وهو سلاح فعال لمحاربة الشيطان والتغلب عليه. قال تعالى : ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾(فاطر: 6).

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا شتم أبا بكر، والنبي ﷺ جالس، فجعل النبي ﷺ يعجب ويبتسم، فلما أكثر رد عليه بعض قوله، فغضب النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر وقال : يا رسول الله، كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددتُ عليه بعض قوله غضبت وقمت؟ قال : "إنه كان معك ملك يرد عليه، فلما رددتَ عليه بعض قوله وقع الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان"(1). وعن عمر بن الخطاب قال : عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء. وذكر الإمام مالك، أن عيسى عليه السلام قال: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلبوكم، فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون. وقد يخسر الإنسان المسلم حسناته بلسانه من حيث لا يشعر. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «أتدرون من المفلس»؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال : «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»(رواه مسلم والترمذي).

ويظهر مما ذكر أن الإنسان المسلم، يجب عليه أن يحكم عقله فيما يقول، لأن أصحاب النفوس الطيبة والقلوب الطاهرة، يتقون الله تعالى ويخافونه، ولا يواجهون من تجرأ عليهم بكلام نابذ ساقط، إلا بالسكوت والقول : حسبي الله ونعم الوكيل، وقد صدق من قال :

إذا نطق السفيه فلا تجبه
وخير إجابته السكوت

فالسكوت والكلام القليل المتزن، من علامات الإيمان، قال الأوزاعي : المؤمن يقلل من الكلام ويكثر من العمل، والمنافق يكثر من الكلام ويقلل من العمل. وذُكر عن لقمان أنه قال لابنه : يا بني من يصحب صاحب السوء لم يسلم، ومن يدخل مدخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم. وقال أحد الحكماء : إن جسد ابن آدم، ثلاثة أجزاء : قلب، ولسان، وجوارح. وقد أكرم الله القلب بمعرفة التوحيد، واللسان بالشهادة، والجوارح بالعبادات والطاعات.

اللهم اجعل قلوب المسلمين وألسنتهم وجوارحهم خالصة لطاعتك يا رب بالخشوع والذكر والحركة يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

1- قال الهتمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح.

إشراقة

آداب الجلوس في المقاهي

ذ. عبد الحميد صدوق

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : "إياكم والجلوس في الطرقات" فقالوا : يا رسول الله مالنا من مجلسنا بد، نتحدث فيها فقال رسول الله ﷺ: "فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه" قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال : "غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(متفق عليه).

إن المقاهي في عصرنا هذا لها أفنية على الطرقات يجلس الناس فيها، وقد يقول الناس اليوم كما قال أبو طلحة رضي الله عنه : مالنا من مجالسنا بد. فهناك مقهى يجتمع فيها الحرفيون والمهنيون لأغراض معيشية لا بد لهم من الاجتماع فيها للحديث فيما يهمهم، فإن لم يكن لهم بد من مجالسهم فيجب مراعاة آداب الطريق.

يقول ابن حجر: وقد تبين من سياق الحديث أن النهي عن ذلك للتنزيه لئلا يضعف الجالس عن أداء الذي عليه

وفيه حجة لمن قال بأن سد الذرائع بطريق الأولى لا على الحتم لأنه نهى أولا عن الجلوس حسما للمادة، فلما قالوا : "مالنا منها بد" ذكر لهم المقاصد الأصلية للمنع، فعرف أن النهي الأول للإرشاد إلى الأصلح.

وأشار بغض البصر: إلى السلامة من التعرض للفتنة بمن يمر من النساء وغيرهن.

وبكف الأذى : إلى السلامة من الاحتقار والغيبة ونحوها. وبرد السلام : إلى إكرام المار.

وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إلى عدم استعمال جميع ما لا يشرع(1).

فإذا اختلت هذه الأمور فالحديث جاء لقطع الذريعة إلى فتنة الصعدات، قال أبو عبد الله بن أبي صفرة : فيه قطع الذرائع، لأن الجلوس ذريعة إلى تسليط البصر، وقلة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلذلك نهى عنه(2).

قال الطبري : وفيه الدلالة على الندب إلى لزوم المنازل التي يسلم لازمها من رؤية ما يكره رؤيته، وسماع ما لا يحل سماعه، مما يجب عليه إنكاره، ومن معاونة مستغيث يلزمه إعانته، وذلك أن الرسول إنما أذن في الجلوس بالأفنية والطرق بعد نهيه عنه إذا كان من يقوم بالمعاني الذي ذكرها عليه السلام.

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال : المجالس حلق الشيطان، إن يروا حقا لا يقوموا به، وإن يروا باطلا فلا يدفعوه(3).

فإذا سمعت أن فحول العلماء جلسوا على الصعدات فاعلم أنهم جلسوا مع الالتزام بحق الطريق، عن ابن أبي خالد قال : رأيت الشعبي جالسا على الطريق.

1- الفتح ج6ص 143
2- شرح ابن بطال ج6 ص 474
3- شرح ابن بطال ج 6 ص 474

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

منزلة المحبة (*) (1)

المحبة مركبة السائرين إلى الله عز وجل

المحبة جوهر القرآن الكريم

يقول ابن القيم رحمه الله في وصفه أو كنايته عن المحبة أنها مَركَبُ العبد السالك إلى الله، فإذا كان الخوف والرجاء يمثلان جناحين يطير بهما العبد إلى ربه عز وجل ذُلُلاً، فإن المركبة التي يستقلها العبد الصالح وهو سائر إلى ربه هي المحبة، والمحبة هي جوهر القرآن الكريم، وهي فُص العبادة، وهي حقيقة الدين بدءاً بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وذلك أن الإنسان المؤمن حينما يختار أن يكون عبدا لله كما اختار ذلك رسول الله ﷺ فإنما معناه أن قلبه مال إلى الله، ولا يميل القلب إلا إذا كان محبّا، فإنما المحبة في معناها ما يَنال القلب، والحقيقة أن هذا الأمر عظيم جدا ولو علم الناس حقيقة الدين من حيث هو محبة لانكب عليه الجميع إلا من غلَّفَ الله قلبه وأفسد طبعه ومسخ فطرته، أما من كان ما يزال في قلبه مثقال ذرة من إيمان وما يزال في قلبه مثقال ذرة من فطرة فإنه لا يمكن إلا أن يكون محبّاً، ولو لا أن إبليس اللعين يفسد على الناس تصوراتهم للدين وللإسلام لما بقي أحد شاردا عن الله عز وجل من المسلمين إلا وجاء يطرق بابه رَغباً ورَهباً لا يُفارق المساجد أبدا، وتعلمون حديث السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله ومنهم رجل قلبه مُعلَّق في المساجد أو بالمساجد، فأن يُعلَّقَ القلب بالمساجد فليس له إلا معنى واحد هو أنه ارتبط بالله عز وجل ارتباط المُحبِّ المُوَحِّد له وحده لا شريك له، ومن المعاني اللطيفَة التي ذكرها ابن القيم رحمه الله عز وجل أن شهادة "أن لا إله إلا الله" التي هي كلمة الإخلاص وعنوان التوحيد ترجع حقيقتها أساساً إلى أن العبد حينما يشهد بها ويقر بها فإنه يُفرِّغ قلبه من كل حبّ سوى محبة الله عز وجل؛ لأن قول العرب أَلَهَ يأله أي أَحبَّ يُحِبُّ، هذا أصل الاستعمال، وذلك أن الإله من حيث هو اسم يدل على صفة، أما اسم الله عز وجل، فهو اسم يدل على علَم -ولله المثل الأعلى- كما يسمي أحدكم ابنه سعيدا أو محمدا أو عمرا أو عليا أي : أنه اسم يدل على جامعية الشخص وعلى كلية هذا الإنسان أو هذا المسمى أيّا كان تسميه باسم معين حتى إذا ناديته عُرف به واشتهر به، ولله المثل الأعلى، فاسم الله عز وجل الذي يدل على ذاته وحده دون سواه والذي لا يمكن أبدا أن يُشاركه فيه أحد هو الله عز وجل، ولذلك كان اسماً مُفردا حتى في اللغة لا يُجمع ولا يثنى لأن الله واحدٌ بالذات سبحانه وتعالى غير متعدد، أما أسماؤه الحسنى فهي أسماء تدل على صفات له سبحانه وتعالى، ومن صفاته أنه إله والإله صفة، ومعنى كونه إلها : أنه معبودٌ محبوبٌ وبما أن الإنسان وغير الإنسان قد يعبد من دون الله أنداداً فيكون له إله آخر من غير الله ﴿أفرايت من اتخذ إلهه هواه﴾ فالإله إذن صفة لله وهي صفة تتعلق بقلب الإنسان من حيث إن الإنسان يحبُّ الله عز وجل ولذلك فهو يعبده، فكانت هذه الكلمة قابلة للجمع وللتثنية لأن الإنسان يمكن أن يعدد محبيه فتكون له آلهة ومن هنا جعلت العرب آلهةً تعبدُها من دون الله لأنها أشركت وعدَّدت ولم توحِّد، وذلك لأن هذا الإحساس بالعبادة يرجع لدى العرب إلى استعمال هذه الكلمة في كل معاني الوجدان، يقولون أَلِهَ الفصيل يَأْلَهُ أَلهاً وولهاً إذا اشتاق وَحنَّ وأحبَّ (والفصيل هو ابن الناقة الذي فُصِل عن الرضاع)، فصيل اسم فعيل كما نقول : «فطيم للإنسان الذي فُطِمَ عن الرضاع حديثاً» وكما يُقَال له رضيع إذا كان في مرحلة الرضاعة، ففصيل إذن هو ذلك الجمل الصغير الذي فُصِل أي عُزل عن أمه فهم يريدون فطمه حتى لا يرضع فيها فتُخرَج الأم أي الناقة إلى الحمى لترعى ويبقى الفصيل في البيت وهو حديث عهد بالرضاعة وبالفطام فإذا مضى وقت ما لم يألف أن يفارق فيه أمه ناح، وللجمال نُواح معروف -سبحان الله العظيم- أصوات تشبه بكاء الإنسان إذا حزنت أو حنت فينوح هذا الجمل الصغير بكاء على فراق أمه فيقولون حينئذ : أله الفصيل أي حنَّ واشتاق إلى أمه فَأُمُّهُ على المستوى اللغوي هنا إلهٌ أي أنها محبوبٌ لدى ذلك الفصيل فهي مألوهه ومحبوبه فحينما نقول لا إله إلا الله أي لا محبوب بصدق إلا الله، لا معبود بحقٍّ إلا الله فذلك معنى العبادة، لأن عبد يعبُدُ أي ذل يَذِلُّ والذلة شعور وجداني، ولذلك سُمِّي فعل العبادة طاعةٌ وهي ضد المعصية ولا يُقال لفعْلٍ طاعة إلا إذا حصل فيه أمران، الأمر الأول : هو الاستجابة لأنك تُؤمر فتستجيب، صل تصلي، زك تزكي، لا تزن لا تزني، لا تسرق لا تسرق، فإذن حينما يأتي الأمر والنهي تستجيب، هذا الشرط الأول، ثم بعد ذلك الرضى وهو شرط سابق ولاحق، أي به تبدأ العمل وبه تنتهي من العمل أي تفعل الفعل وتستجيب للأمر والنهي وأنت راض وذلك ما يُعبَّر عنه بالنية وبالإخلاص كذلك، ولأمر ما سمى الله عز وجل سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ بسورة الإخلاص مع أنها عنوان التوحيد سماها بالمضمون لأن الإنسان حينما يوحد الله عز وجل معناه أساساً أنه يُخلِصُ الطاعة له وحده لا شريك له وكل فعل أديته وأنت مُكرَه لا يسمى طاعةً، فلو أن ذا قوة وسيطرة أمرك أن تفعل فعلاً رغما عنك ففعلته خوفا لا يُعتَبَر ذلك طاعة لأن الطاعة مقرونة بالمحبة وأنت حينما تفعل الأمر الذي أمرت به تحت الإكراه فإنما تفعله خوفاً لا محبة وهذا لا يسمى طاعة، وإنما فعل تحت الضغط والإكراه ولذلك قال عز وجل ﴿لا إكراه في الدين﴾ لا يقبل الله عملاً إلا إذا كان مبنياً على الرضى، وهنا يحضرني مثلٌ فقهي أكرره كثيراً ومهم جدا لنفهم ما الطاعة، قال الفقهاء : «لو أن شخصا امتنع عن أداء الزكاة يوم كان الجابي يجمع الزكوات في الزمن السابق، يوم كانت الشريعة الإسلامية هي أساس العمل في البلاد الإسلامية فإن السلطان يرغمه على أداء الزكاة، فيعد عليه الجابي ماله ثم بعد ذلك يطرح عنه مقدار الزكاة حسب صنف المال، إذا كانت تجارة فإن المقدار 2.5٪، وإذا كانت فلاحة فالعُشر أو نصف العُشر، وإن كانت بهائم... على كل حال مقادير معروفة، فيخرج العامل أو الجابي الزكاة أو يأخذها منه قهرا، قال العلماء : بهذا الفعل يسقط عنه حقٌّ ويبقى حقٌّ، لأن الزكاة فيها حقان حق للعباد وحق لرب العباد، فأما حق العباد فهو حق الفقراء، وهو المال الذي أُخرج، يقولون هذا حق الفقراء قد وصلهم مادام انتزع منه قهراً ولن يخرجه مرة أخرى، أما حق الله فهو العبادة، يعني أن الذي أدى الزكاة ينبغي أن يكون بفعله مطيعاً لله ولا طاعة إلا مع المحبة والرضى، وهذا الشخص أُخرجَت عنه الزكاة كَرها فلم يحصل في قلبه رضى ولا محبة، قالوا : فحق الله باق عليه إلى يوم القيامة لم يسقط، وهذا قياس مضطرد، قياس تنبني عليه جميع العبادات، إذ كل عبادة لم يؤدها العبد بقصد طيب وبنية راضية فهي عبادة باطلة، «إنما الأعمال بالنيات» و"إنما" تفيد الحصر لأن كل عمل لم يُبن على نية التعبد ليس بعبادة، فيُشتَرَط أن تكون العبادة مبنية على نية العبادة نفسها والعبادة هي الرضى والخضوع القلبي وليس الشكلي وحسب، فلا قيمة لشكل لا يدل على باطن، ولا قيمة لباطن طبعا لا شكل له، الإيمان قول وعمل، ثم قبل ذلك وبعد ذلك رضى، أي النية، والإخلاص، ولهذا سُميت شهادة أن لا إله إلا الله بكلمة الإخلاص، والإخلاص في اللغة هو : الصفاء، خَلُص الحليب أي صفى، وخلُص الحلال : صفا من الحرام ولذلك سميت سورة الإخلاص لأن التوحيد الحق هو ما صفا فيه الإخلاص لله الواحد القهار، وهذا لا يحصل إلا إذا كان العبد محبا لله عز وجل.

لو علم الناس حقيقة الدين من حيث هو محبة لانكب عليه الجميع إلا من غلَّفَ الله قلبه وأفسد طبعه ومسخ فطرته، أما من كان ما يزال في قلبه مثقال ذرة من إيمان وما يزال في قلبه مثقال ذرة من فطرة فإنه لا يمكن إلا أن يكون محبّاً

محبة إلى درجة الخلة

وأحبُّ العباد لربهم رسول الله ﷺ، هو المحب الأول لربه للحديث الصحيح الثابت عنه ﷺ أنه قال : «لو كنت متخذاً أحدا خليلا لاتخذت أبا بكر» وفي رواية «لاتخذت ابن أبي قحافة خليلا»، و«لكن صاحبكم يعني نفسه ﷺ اتخذ الرحمن خليلا»، وفي رواية «لقد اتخذت الرحمن خليلا كما اتخذ الله إبراهيم خليلا»، والخلة هي أرفع درجة في المحبة، خلَلَ أو خالَلَ الشيءُ الشيءَ أي خالطه وشاركه، إذا كان لك صاحب وحصل بينكما تفاهم وارتفعت درجة الصحبة عندكم إلى المشاركة في المال وفي كل ما يجوز المخالطة فيه فإنه يصبح خليلا لك، يمكن أن ينوب عنك في الأخذ والعطاء والإنفاق على أولادك ويحمل همك ويقضي دينك... إنها مرتبة فوق الصحبة، إنها المخاللة أو الخلة، ولذلك درجة المحبة التي كانت في قلب رسول الله ﷺ لربه هي هذه الدرجة يعني أنه أحبه إلى درجة أن خالط قَلْبَهُ ﷺ حب الله بحيث لا ينفك عنه ليل نهار، ولم يعد في قلبه مكان لإنسان يمكن أن يصل إلى درجة الخلة ولو كان أبا بكر وما أدراك ما أبو بكر، صاحبه الذي ذُكر في القرآن الكريم والذي وقف مع النبي ﷺ في أشد الأحوال عُسرة، في العسر واليسر وفي المكره والمنشط رضي الله عنه وأرضاه، فإذا كان رسول الله ﷺ هذا شأنه، فالأمة إذن مأمورة باتباع رسول الله ﷺ ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ فنحن مأمورون باتباع رسول الله ﷺ ومن أهم صفاته ﷺ أنه كان محبا لربه فنحن أيضا نجتهد أن نحب ربنا لأننا إن أحببناه حقا سهُل علينا حمل كل شيء من تكاليف الأمر والنهي في الدين وهذه مشكلة الناس ومشكلة المسلمين بصفة عامة، أن محبة الله عز وجل لم تخالط قلوبهم ولو خالطتها لتحولوا تحولا جذريا ولأصبحوا قوما آخرين ولكن الشيطان اللعين يُخبِّل ويخدج ويخلط على الناس دينهم، ذلك أن له مزاميره وله ملاهيه وله ظلمات، يخرج الناس من النور إلى الظلمات، ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾، والمجتمع ظلمات، في كل مكان، وفي كل درب، وفي كل مجال، وفي كل ميدان، ويبقى النور وحده واحدا لا يتعدد، ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾، فالنور واحد لأن مصدره واحد، ولذلك كانت المحبة واحدة، إذا امتُلك القلب فقد امتُلك.

يتبع

(*) منزلة المحبة من حلقات منازل الإيمان التي ألقيت بمسجد الجامع الأعظم بمكناس وهي مادة مسجلة على شريط سمعي .

أعدها للنشر : عبد الحميد الرازي

كبير مستشاري المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط :

الدكتور هيثم الخياط في حوار مع جريدة المحجة في قضايا اللغة العربية

أجرى الحوار: الطيب الوزاني

● نود أن تتحدث لنا عن واقع اللغة العربية حاليا؟

●● واقع اللغة العربية حاليا يختلف بين واقعها عند المتعلمين وغير المتعلمين. فأما غير المتعلمين فالأمر -بطبيعة الحال- مؤلم، وهنالك كثيرون ممن يودون أن يكونوا قادرين على التحدث باللغة العربية، ولكنهم لا يعرفون الطريقة الأمثل لذلك. وهناك كثير ممن يظنون أنهم يجيدون أو يتقنون اللغة العربية، ولكنهم في حقيقة الأمر غير ذلك. وكلاهما في ظني يسلكان الطريق غير الصحيح، لأن هذه اللغة الشريفة هي لغة سهلة بسيطة لو استطعنا أن نعلمها للناس على الطريقة المثلى.

ومن أجل ذلك -في اعتقادي- فإنه من الضروري أن نعيد النظر في أساليب ووسائل تعليم اللغة العربية، وأن نخفف عن المتعلمين -من الدراسة الابتدائية، بل ما قبلها- التعقيدات الكثيرة التي نطوق بها أعناق هؤلاء الصغار. وبعد ذلك هم سيستطيعون - بإذن الله- إتقان هذه اللغة والتحدث بها بشكل سليم.

فعلى سبيل المثال أنا أزعم دائما أن ما نعلمه نحن في مدارسنا هو فلسفة النحو، ولا نعلم النحو على سبيل المثال، كأحد مقومات اللغة العربية الأساسية. فالطالب الصغير لا يهمه أن يعرف من هو الفاعل ومن هو نائب الفاعل، وما هذه النون التي يسمونها نون الوقاية، وأن هناك كسرة مقدرة على... هذه كلها أشياء لا تهمه وتعقد الأمر في وجهه و تجعله يستعصب هذه الأمور. وإنما القضية بالدرجة الأولى هي أن نعطيه بسائط هذه اللغة بشكل منطقي ومعقول، ثم بعد ذلك نعوده على أن يتحدث باللغة العربية، من سماعه لمتحدثين باللغة العربية بشكل صحيح. وهذا طبعا يعتمد بالدرجة الأولى على أستاذه الذي ينبغي أن يجيد التحدث باللغة العربية الصحيحة. ثم على كل الوسائل الأخرى التي تساهم في تعليمه، ومن أبسطها مثلا في أجهزة الإذاعة المرئية، أفلام الأطفال التي يحبونها كثيرا. هذه عندما تنطق باللغة الفصيحة الصحيحة فإن الطفل سوف يتعلمها وينطق بها بشكل عفوي وطبيعي، ولا يوجد أي حرج في ذلك. أما حينما نلقنه دائما هذه الأشياء الثقيلة التي لا يستطيع ذهنه الصغير أن يتحملها، فأعتقد أن هذه الأمور أولا ليست بذات فائدة، وثانيا هي تثقل عليه فتجعله يكره التحدث باللغة العربية أصلا، ولا يتحدث بها إلا على سبيل التفكه والتندر، وما شابه ذلك.

● إذن أنتم في تشخيصكم لواقع اللغة العربية، ترون أن المشكل هو مشكل مناهج التدريس، وتفضلون المناهج القائمة على التواصل الشفهي بدل المدرسة النحوية...

●● صحيح أن المدرسة النحوية لها فوائدها لكن ليس في المراحل الأولى لتعلم اللغة، وأنا لا أحط من قيمتها، ولكن هذه المدرسة يصلح توظيف مبادئها في الدراسات العليا، دراسات ما بعد التخرج من الدراسة الجامعية، نعم هنا يمكن تدريس فلسفة النحو، ويبحث بها ويتعمق، وما شابه ذلك. إذن هذه يتعمق بها المختصون الذين يريدون مثل هذا التعمق، أما بالنسبة إلى الآخرين فلا داعي إلى ذلك. الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين، وهو من كبار علماء العربية، و هو من كبار الجراحين أيضا في العالم، كان عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة. له كتيب صغير بدأه بصفحات سماها "النحو المعقول"، ثم تحولت إلى كتاب سمي في ما أظن "اللغة العربية المعاصرة"، يبدأ الكلام بثلاثة أو أربع جمل بسيطة: المتحدث عنه مرفوع، وما بعد حرف الجر والمضاف مجرور، والباقي كله منصوب. هذه تكفي للطفل، إذا عرف من الذي نتحدث عنه: فلان، إذن هذا مرفوع، سواء كان هو الفاعل فنحن نتحدث عنه، أو نائب الفاعل فنحن نتحدث عنه،أو المبتدأ فنحن نتحدث عنه، أو الخبر... إذن المخبر عنه والخبر مرفوع، و انتهى الموضوع. أما ما يأتي بعد حرف الجر، وهو بسهولة سوف يتعلم حروف الجر والمضاف فهو مجرور والباقي كله منصوب، وصلى الله وبارك، وانتهى الموضوع كله من هذه الناحية. بدل

أن نحاول أن نعطيه إياها على دروس متعددة و نعقد له الأمور، هذا شيء بسيط. وأنا مرة جربتها مع ابن لي حينما كان صغيرا، فذكرت له هذه القاعدة، فأخذ يتحدث بلغة سليمة دون أي حرج.

● ألا يعني هذا التركيز على العوامل الداخلية لضعف اللغة العربية نوعا من إغفال بعض العوامل الأخرى التي يعتقد البعض أن لها دورا كبيرا في إضعاف اللغة العربية لدى ناشئتنا و لدى كبارنا أيضا، خاصة العوامل الثقافية والسياسية.

●● أنا لست من أنصار نظرية المؤامرة، ولا أريد أن ألقي اللوم على غيري إن كان الخطأ خطأي، ومن أجل ذلك أنا أحاول أن أصحح خطأي. فإن أدى ذلك إلى نتيجة جيدة فبها و نعمت، ولا أريد أن ألقي لوما على سواي. الأصل في الأشياء أن تتم بشكل طبيعي، ودون اللجوء إلى أي تعقيد ولا إلقاء التهم جزافا على الآخرين. نحن مقصرون في تعليم أبنائنا هذه اللغة، فلو استطعنا أن نعلمهم إياها بالطريقة البسيطة فسيتعلمونها، وسوف يتحدثون باللغة الفصيحة.

● الآن، أمام هذا الواقع أليس هناك جهود وتفكير في مختلف البلدان العربية والإسلامية، وخاصة في البلدان العربية لتطوير عملية تدريس اللغة، وتسهيل نقلها إلى الأجيال، و تجاوز هذا العائق الذي ذكرتم؟

●● أنا لا أعرف عن أي عمل جاد من هذا القبيل، و لكن كما ذكرت، الأسس موجودة متاحة، يحتاج الأمر إلى مبادرة، ثم العزم و التوكل على الله. وليس من الضروري أن ننتظر فلانا حتى يفعل ذلك و سأفعل مثله، فلأبدأ أنا بهذا الأمر، فلنبدأ بمدرسة من مدارسنا في هذه المدينة، ولنحاول أن نستعمل هذه الطريقة، وليبدأ أحد أساتذة اللغة العربية في استعمالها، فإذا نجحت تجربته فإن الآخرين -بالتأكيد- سوف يقلدونه ويتبعونه.وسيكون ذلك بمثابة فتح سندشن به مرحلة جديدة في تصحيح تعاملنا مع لغتنا.

● أنتم الآن ترون أن الجهود المبذولة على المستوى النظري في تيسير النحو العربي جهود كافية الآن؟

●● أنا في ظني لا علاقة لتيسير النحو العربي بهذا ... النحو العربي ميسر، لكن التعقيد يأتي من أننا نريد أن نعلم الصغار ما يتعلمه خريجو الجامعة. أما النحو العربي فهو ميسر أصلا، هذه الخلاصة التي ذكرتها لك، وضعها الدكتور محمد كامل حسين هذه كافية. هذا هو النحو العربي، النحو العربي بسيط وسهل. لكن نحن نلقيه و نلقنه لأبنائنا وفي مدارسنا بطريقة تعسره، وتجعله من الصعب أن يتقبل، ويفهم ويستعمل بيسر في التخاطب بالنسبة لأطفالنا في مستويات ما دون الجامعة.

في الدراسات الأكاديمية على المستوى الجامعي على مستوى اللغة العربية، يرقى لدى الطلبة إلى أن يكون في المستوى المطلوب وهم يدرسون النحو-خاصة في الكليات التي تدرس اللغة العربية، أما في الكليات الأخرى التي تدرس بغير اللغة العربية فمع الأسف، لا ترقى -في ظني- إلى المستوى المطلوب.

● والسبب؟..

●● السبب ربما يرجع إلى خطأ في المنهج، في الطريقة التي نلجأ إليها في التعامل مع هذه النصوص أولا، و الطريقة التلقينية التي تقوم على أساس أن نحفر هذه الأمور حفرا في ذهن الطالب، في حين أنه من الأفضل أن نجعل، أن نضع النصوص الأصيلة التي كان يتعلم منها الإنسان، نضعه على تماس معها،ثم نترك له أن يتفاعل مع هذه النصوص، ويحاول أن يستنبط منها بنفسه الطريقة التي يستطيع بها أن يقلد هذه النصوص قليلا أو كثيرا ويحاكيها حتى يرقى إلى مستوى الإبداع.

محمد هيثم بن أحمد حمدي الخياط كبير مستشاري المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط، وعضو مجلس أمناء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وعضو مجلس أمناء المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ورئيس تحرير المجلة الصحية لشرق المتوسط، ومقرر مشروع المعجم الطبي الموحد. وهو عضو في أغلبية مجامع اللغة العربية؛ فهو عضو مجامع اللغة العربية في دمشق وبغداد وعمان والقاهرة. علاوة على ذلك فهو عضو في أكثر من 20 جمعية علمية في مختلف أنحاء العالم منها: أكاديمية نيويورك للعلوم والمجمع العلمي الهندي.

● العمل الأهم الذي يجري في كثير من المجامع اللغوية العربية هل أدى دوره؟ما هو تقييمكم لهذا العمل؟

●● عمل المجامع لا يتطرق إلى تيسير النحو، عمل المجامع الآن بالدرجة الأولى يركز على وضع المصطلحات العلمية المقابلة للمصطلحات العلمية المقابلة التي تنهمر وتنهال علينا باللغات الأجنبية. بالإضافة إلى ذلك يتطرق إلى بعض الأمور الأخرى المتعلقة بالألفاظ و الأساليب المستعملة في اللغة العربية، ومحاولة تأثير بعض الأساليب التي نستعملها في صحافتنا و كتبنا أو ما شابه ذلك، يعني إيجاد أو بالأحرى إضفاء شرعية عليها، من حيث أنها من أصل عربي أو نجد لها مثيلا فيما قاله الأقدمون. هذا هو العمل الرئيسي للمجامع، فالمجامع لا تشتغل بقضايا تعليم اللغة أو ما شابه ذلك، طبعا من وظائفها الأساسية الحرص على أن تكون للغة العربية مكانتها التي تتبوؤها، على سبيل المثال : في كثير من البلدان العربية إن لم نقل في جلها، أسماء الأماكن والمخازن والمحلات التجارية وبعض المؤسسات إلى ما غير ذلك تكتب باللغة الأجنبية، لماذا؟... حتى لو كتبت بالأحرف العربية فإن الكلمة التي تكتب بالحرف العربي هي في الأصل كلمة أجنبية، ما الداعي إلى ذلك؟ ولماذا لا نحاول أن نغير أمثال هذه الكلمات في تأثيرها على المتلقي العربي حينما يجد دائما أن كل شيء يعبر عنه بلغة أجنبية أو بأحرف

تتمة ص : 15

(العربية والعرب)

كتبه : محمد أبو المجد

ينبغي –أولا– التذكير:

بأن اختلاف اللغات آية من آيات الله الكبرى، التي تدل على بديع صنعه، وعظيم حكمته، يدرك ذلك كل متأمل، على تفاوت في مراتب الإدراك، ويعقل العلماء من ذلك ما لا يعقله غيرهم ممن لم يؤتوا حظا من العلم والعرفان.. قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾(الروم : 22) وقد قرئت الآية.. ب"العالَمين "بفتح اللام، لإفادة الإدراك المشترك بين المتأملين، وقرئت بكسرها، لإفادة: أن ما يدركه العلماء من أسرار اختلاف الألسن لا يدرك عشر معشاره غيرهم من الدهماء..

وينبغي –ثانيا– التنبيه على :

أن اللغات –من حيث هي أداة للتواصل، ووسيلة للتخاطب والتفاهم– متساوية في الفضل، متوازية في الاعتبار.. ولقد أحسن علماء اللغة العربية إذ عرفوا اللغة بأنها:" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". وأنها "كل لفظ وضع لمعنى". و"عبارة عن الألفاظ الموضوعة للمعاني"(1) فلا فرق –إذن– بين لغة وأخرى، من هذه الحيثية.

ويجب –ثالثا– تقرير:

أن اللغة العربية باعتبارها لغة الوحي الأخير للإنسان، ومن حيث كونها وعاء لكلمات الله الخالدة في القرآن الكريم، هي أفضل لغة على الإطلاق، ولا يجوز مساواتها بغيرها من اللغات بحال من الأحوال.

لقد اختار الله –وهو الحكيم العليم– هذه اللغة لتكون لغة الدين الخاتم، ومن ثم لغة كل من آمن بهذا الدين وارتضاه على غيره من الأديان :قديمها وحديثها، ما كان أصله منها سماويا وما كان منها من وضع الإنسان، سواء في صورة طقوس ومراسيم، أو تشريع وقوانين..وإن قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الحكِيمُ﴾(إبراهيم : 4) لدليل قاطع، وبرهان ساطع، على عموم وجوب تعلم اللسان العربي، وكونه لسان كل مسلم بالضرورة، لأن الرسول ﷺ بعث بهذا اللسان، وقد بعث إلى الناس كافة، فكان تعلم لسانه على الكافة فرضا لازما.

إنه ليس صدفة ولا اعتباطا أن يحفل القرآن بتوكيد هذه الحقيقة في جملة من الآيات، وفي سياقات متنوعة كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(يوسف : 2) وقوله: (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ﴾(الرعد : 37) وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾(طه : 113) وقوله : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(الزمر:-27 28) وقوله: ﴿حم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(فصلت: 1- 3) وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾(الشورى : 7) ﴿حم والكتاب المبين إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(الزخرف:1- 3) وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾(الأحقاف :11- 12)... وإنما القصد من ذلك: لفت الانتباه إلى أن هذه اللغة جزء من الدين، بل ركن من أركانه، إذ لا يتم الدخول فيه إلا بالنطق الفصيح بكلمتي الشهادة، ولا تصح أهم عباداته – وهي الصلاة– إلا بالنطق بلسان عربي بالتكبير عند افتتاحها، وقراءة أم الكتاب على أقل تقدير –وهي بألفاظ عربية– فيها، والخروج منها بالنطق السليم بالتسليم منها، ف"مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم". كما ورد في الحديث الشريف و" لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" كما ورد في الحديث الآخر.

ولأن العربي من تكلم العربية، كما ورد في الحديث(2)، وأنها ليست لأحد بأب ولا أم، ما لم يكن من الناطقين بها، المعتزين بالانتماء إليها، المعلين لشأنها، المشبعين بروح إعجازها وسر إيجازها...

فهلموا بنا، ننظر في واقع هذه العربية عند من يسمون اليوم بالعرب، وليكن ذلك بطرح جملة من الأسئلة الجوهرية:

1- كم يتلقى التلميذ في هذه البلاد المسماة بالعربية من درس في هذه اللغة في الأسبوع؟

2- كم عدد السنوات الدراسية التي تنفرد فيها اللغة العربية في المدرسة دون مزاحمة من لغات أخرى؟

3- ما هي الآفاق المفتوحة أمام من يتخصص في هذه اللغة نحوا وصرفا وبلاغة وشعرا ونثرا، مقارنة مع من يتخصص في اللغات الأخرى، خصوصا الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية؟

4- كم هي عدد الكتب العلمية، والأبحاث المتخصصة التي تنشر بهذه اللغة في بلاد العرب، ويتم التفكير في ترجمتها إلى لغات أخرى، لا العكس كما هو الحال؟

5- كم هو عدد الجوائز والحوافز، التي ترصد لمن أبدع في هذه اللغة بإنجاز دراسة، أو تحقيق عبارة، أو نشر وثيقة تمس هذه اللغة، وتجلي للناس حقيقتها بين اللغات؟

6- ما هو حظ هذه اللغة في الإدارات العمومية، والمؤسسات الاقتصادية، ومراكز الدراسات والأبحاث المتخصصة؟

7- كم هو عدد القادرين على التحدث بهذه اللغة بطلاقة وسلاسة، وفصاحة وإعراب، من أبناء هذه اللغة، مع اعتبار النسبة المئوية للسكان، وقس على ذلك كتابتها؟

8- كم هو عدد المدارس المتخصصة في تعليم هذه اللغة في بلاد العرب، ناهيك عن غيرها من البلاد، مع استحضار عدد المدارس التي تجد وتجتهد في تعليم اللغات الأخرى في بلاد العرب، وتنبت –كما تنبت الفطريات– في كل زاوية من زوايا هذه البلاد؟

9- كم هو عدد الجمعيات القائمة على حماية اللغة العربية، والمعنية بالدفاع عنها، وتقديمها للناس باعتبارها لغة الجمال والخيال، والعلم والعرفان، والذوق والوجدان، وقبل ذلك وبعده لغة القرآن والبيان(3)؟

10- كم هو عدد المدارس العربية التابعة للبعثات الدبلوماسية (وغير التابعة) في بلاد الله الواسعة، على غرار البعثات الفرنسية والأمريكية ومن على شاكلتهما في بلاد من يسمون العرب. أم أن بعثاتنا الدبلوماسية تقوم –عوض ذلك– بإدخال أولادها إلى مدارس تلك البعثات الفرنسية والأمريكية في البلاد التي توجد فيها؟

إنه لمن المحزن حقا أن يتواطأ هؤلاء المسمون بالعرب على خذلان لغتهم، واحتقار لسان آبائهم وأجدادهم، وإضاعة أصل عزهم وشرفهم، ثم بعد ذلك يتبجحون بأنهم عرب...

إن العربي هو من تكلم العربية، ولو كان أعجمي الأرومة، وإن الأعجمي هو من لا يتكلم العربية وإن كان عربي الأرومة، تلك حقيقة يجب أن يعيها المسمون بالعرب..

لقد سافرت كثيرا إلى أوربة، وكان يحزنني جدا أن يتحدث مضيفوا ومضيفات الطائرات باللغات الأصلية لأصحاب الطائرة، وباللغة الإنجليزية لعموم الركاب، وباللغة الفرنسية للمغاربة، كان ذلك يوجعني جدا، ويشعرني بالاحتقار، ومع ذلك كنت أعلل نفسي بأن هذه الدول دول استعمارية، وهي حريصة على المحافظة على جزء من إرثها الاستعماري، وخير وسيلة لذلك، الإبقاء على لغتها واسطة بينها وبين الشعوب المقهورة المستعمرة..

ولقد كتب لي أن أسافر هذه الأيام إلى الحجاز –عبر استانبول– على طائرة تركية، ففاجأني : أن قدر المغاربة أن يحشروا مع الفرنسيين في كل مكان.. لأن لغات الخطاب في الطائرة، كانت التركية للأتراك، والإنجليزية لعموم الركاب، والفرنسية للمغاربة، وكنت أظن أن الأمر سيتغير عندما تأخذ الطائرة وجهتها نحو المدينة المنورة، إلا أن الأمر استمر على تلك الحال، مع إضافة جمل ركيكة بلسان يقال: إنه عربي؟؟

قد يلتمس للأتراك العذر مرة واحدة، في عدم تحدثهم باللسان العربي، بالنظر إلى حدوث النعرات القومية في هذه الأزمنة المتأخرة، وركوب العرب موجة تلك النعرات، واعتبارهم الأتراك أجانب يجب التخلص منهم، والوسيلة لذلك: الاستعانة بالإنجليز، لإقامة مملكة عربية خالصة.. ولكن الأتراك لا يعذرون مرتين:

الأولى بالنظر إلى أنهم مسلمون، وأن اللغة الرسمية لكل مسلم مهما تكن قوميته هي اللغة العربية.

والثانية في مخاطبة المغاربة بلغة فولتير، لأن الأتراك يعلمون أن المغاربة مسلمون، ومنهم عرب ضاربون في العروبة، ومنهم أمازيغ تشربوا العربية، ورضعوها مع الإسلام، ودرسوا بها العلوم، وأسسوا بها حضارة يفاخرون بها الأقوام، ويطاولون بها الأهرام، وامتازوا عن باقي شعوب العجم التي دخلت في الإسلام، بقبول الإسلام دينا، ولغة القرآن لسانا، وإذ كان ذلك كذلك، فلا يجوز للأتراك ولا لغيرهم أن يهينوا هؤلاء المغاربة بمخاطبتهم بلغة الاستعمار.

إنه مما لا شك فيه أن الجزيرة العربية هي قلب بلاد العرب، وأن المدينتين: مكة والمدينة، هما قلب الجزيرة العربية، بل محور العالم الإسلامي، ولم لا؟ العالم كله مصداقا لقوله تعالى : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾(الأنعام : 92) والمراد بأم القرى: مكة، وبمن حولها: العالم كله، إذ دعوة الرسول ﷺ عالمية كما هو مقرر في نصوص صريحة واضحة قاطعة..

فكان المفروض –إذن– أن تكون لغة القرآن هي اللسان المهيمن في هاتين المدينتين على كل لسان، ولكن الواقع هو عكس ذلك تماما، إذ تعج المدينتان بكل لسان، إلا اللسان العربي، فهو وحده المهجور!!!. ومن لا يعرف غيره يحتاج إلى مترجم في الشارع والسوق والمطعم، وأحرى الفندق !... أما في المطار فتلك هي الطامة الكبرى!!.

وهذا الوضع الشاذ الغريب، لا يكاد يوجد في غير بلاد من يسمون بالعرب.. لأن المطلع على أحوال العالم، يعرف يقينا أنه لا يمكن لشخص أن يفتح محلا تجاريا أو مطعما أو ينشئ وحدة فندقية في باريس –مثلا– دون أن يتحدث اللغة الفرنسية، ويستخدم في أعماله تلك من يتقنون تلك اللغة الفرنسية، وليقس ما لم يقل.

لقد ابتليت هذه الأمة بمحن كثيرة، وأصيبت بنكبات متعددة، وهي الآن، تتهيأ لمرحلة أخرى من مراحل تاريخها، وقد بدأت دعوات التجديد والإصلاح والتغيير تسري في كيانها.

وإن أولى ما يجب الاعتناء به، والعمل على إحيائه للبناء عليه: المحافظة على خصائص هذه الأمة، وفي مقدمة تلك الخصائص، بل لا يمكن أن نتصور وجود هذه الأمة دون وجودها أمران :

أولهما : الإسلام، مع وجوب النظر إليه على أنه جامع للمحاسن كلها. كفيل بالإجابة الشافية، عن جميع أسئلة الإنسان، وتحقيق حاجاته الروحية والمادية، فهو عقيدة واضحة، سليمة من الغلو والتحريف، وهو عبادة لله خالصة، وهو سلوك مستقيم، وأخلاق فاضلة، وهو معاملات وعلاقات خاصة وعامة، وهو نظام لتسيير شؤون الأمة أفراداً و جماعات ودولا، إن الإسلام بهذا المعنى، هو الذي صاغ هذه الأمة، وجعلها أمة وسطا بين الأمم، ودفعها إلى أن تسهم في الحضارة الإنسانية بقسط وفير، وبوأها مكانتها الرفيعة في التاريخ الإنساني، ولذلك فلا حاضر لهذه الأمة، وكذا لا مستقبل لها، إلا في ظل هذا الإسلام.

ثانيهما : اللغة العربية، إذ هي صلة الوصل بين الإنسان والإسلام من خلال النص القرآني والبيان النبوي، وهي صلة الوصل –كذلك– بين أجيال الأمة المتعاقبة، ذلك أن جل المعارف الإسلامية، والعلوم الشرعية، والإبداعات الأدبية، والعلوم الإنسانية، إنما نشأت –أصلا– بهذه اللغة، وإنما ترجمت الفلسفة اليونانية، ونقلت المعارف الفارسية، ودونت الحكمة الصينية أول مرة في تاريخ هذه الأمة، باللسان العربي المبين، ثم ما معنى القول : إن هذه الأمة عربية، إذا كانت لغتها مهجورة من قبل أهلها، أو مزاحمة بلغات أخرى، مزاحمة الندية، ولربما مزاحمة العدوانية، ذلك هو مربط الفرس في الإصلاح، ومغرس الشجر في التغيير إلى الأفضل، وإلا، فستبقى هذه الأمة تدور في طاحونة القوى المتكالبة، وتتقاذفها أمواج العولمة المتوحشة، وتتداعى عليها الأمم المختلفة، كما أنذر بذلك الصادق المصدوق ﷺ في قوله : "يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل : يا رسول الله أفمن قلة بنا يومئذ؟ قال : لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا وكراهتكم الموت".... وتداعي الأمم على هذه الأمة، يكون تارة بالجيوش الجرارة، وتارة أخرى باسم الحداثة، ومرة ثالثة باسم الديمقراطية، ورابعة باسم الكونية، وخامسة باسم التقدم... والقائمة طويلة.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

العمران الحضاري وأسسه في القرآن الكريم

د. محمد البوزي

أ- مفهوم العمران في القرآن :

لفظ(العمران) لم يرد في القرآن، وإنما ورد فيه ما يفيد الإعمار والتعمير أو الإسكان بألفاظ وعبارات مثل :(استعمركم فيها - وعمروها أي الأرض - عمارة المسجد الحرام - أسكنت من ذريتي..)، وكلها تفيد عمران (تعمير) الإنسان لمنطقة معينة بقصد العيش وعبادة الله تعالى.

والعُمران في اللسان العربي : نقيض الخراب، وهواسم للبنيان، ولمن يعمر به المكان ويحسن حاله، بواسطة الفلاحة وكثرة الأهالي ونجح الأعمال والتمدن (.،.

والعمران في الاصطلاح اقترحه المفكر العلامة ابن خلدون (في المقدمة) للدلالة على نمط الحياة بوجه عام، جاعلاً إياه إحدى الخواص التي تميز بها الإنسان عن سائر الحيوانات، وهو: "التساكن والتنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات لما فيه من طباعهم من التعاون على المعاش"(10) وقد استلهمه ابن خلدون من قوله تعالى : ﴿هوأنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾(هود : 61).

والعُمران عند ابن خلدون إما أن يكون حضرياً أو بدوياً..

والعمران البشري في القرآن كما استنتجه المهندس/ الباحث الجزائري تومي إسماعيل هو "إسكان في منطقة معينة لهدف معين يتطور مع الزمان، إلى اجتماع بشري يسوده الأمن ويتوفر على أسباب العيش"(1).

ومن خلال هذا التعريف يظهر أن العمران البشري في القرآن يقوم على أسس مادية أهمها : الإنسان والمكان وما يتبعه من شروط العيش والإقامة، وعلى أسس معنوية هي : الفكرة أو المبدأ الذي يشكل الهدف الداعي، وما يرتبط به من؛ ثقافة، وديانة، وخبرة حياتية، وغيرها، وإن كان هذا العمران بسيطا وبداية للعمران الحضاري المتطور.

أما العُمران الحضاري عند الباحث الفلسطيني المرحوم د، أحمد صدقي الدجاني فهو "التوظيف الإيجابي للمنجزات الحضارية"(2).

والعمران الحضاري في القرآن شامل للعمران البشري والمادي والثقافي، وأساسه العمران النفسي أوالروحي للفرد ثم للأمة، وهو المقصود عندنا في هذا البحث.

ب- أسس العمران الحضاري في القرآن :

1- الأسس المادية والمعنوية للعمران في القرآن :

كما سبقت الإشارة فإن عناصر العمران البشري في القرآن الكريم هي : الإنسان، والمكان(الأرض)، والرسالة السماوية، بقطع النظر عن وجود عمران مادي بمستوى حضاري معين، كما نقرأ ذلك في دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام لما قال: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾(إبراهيم :37).

حيث أسكن إبراهيم عليه السلام أهله وابنه إسماعيل بوادي أم القرى؟ بجوار الكعبة وذلك بوحي من الله تعالى، ثم دعا ربه أن يهيئ لذريته ما يعينهم على القيام بعبادة الله تعالى، من أمن بجوار البيت الحرام، وتعارف ومحبة بينهم وبين الوافدين عليهم مستقبلا، وأن يرزقهم من الثمرات ما يحقق حاجتهم من الطعام والعيش الكريم، وبذلك وضع إبراهيم عليه السلام الأسس المادية والروحية للعمران البشري، وكأني به ﷺ -لما أسكن ذريته بجوار البيت ودعا لهم بمقومات الحياة الضرورية التي توجب شكر الله وعبادته- يضع تخطيطا مستقبليا لعمران أمة مسلمة ذات رسالة حضارية متميزة.

2- العمران الحضاري مقصد عام من مقاصد استخلاف الإنسان في الأرض :

لقد خلق الله الإنسان وكرمه بالعقل وأرسل له الرسل ليقوم بوظيفة الاستخلاف في الكون، وإعمار الأرض على منهج الله وشرعه، وبلوغ الغاية الكبرى التي من أجلها خلق، ألا وهي تحقيق العبودية لله تعالى بإخلاص التوحيد لله تعالى، وتحقيق العدل في الأرض والإحسان لعباده ومخلوقاته، فكانت مسؤولية هذا الإنسان عظيمة، ورسالته في الكون آئلة إلى أمرين هامين هما : بناء الحضارة التي تحقق له الأمن والسعادة في الدنيا، وتحقيق العبودية لله تعالى بمفهومها الشامل لعمل الدنيا والآخرة وهو مقتضى قوله تعالى : ﴿هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب﴾(هود :60) فمعنى (استعمركم) في الآية : جعلكم عمارها أو طلب منكم أن تعمروها، وهو كقوله تعالى: ﴿وجعلكم خلائف الارض﴾، واستعمار الإنسان في الأرض -من لدن الخالق- يعني : تفويضه لعمارتها بإصلاح حالها لتصير قابلة للانتفاع بها، ويستفاد منه أن الإنسان مستخلف في الأرض ومكلف بعمارتها وفق شرع الله وعلى هدي أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، واستخلاف الإنسان في الأرض تشريف وتكليف له بتحمل الأمانة العظمى التي لم تحتملها السماوات والأرض، لذا كان الأحق بالاستخلاف هم المومنون الصالحون المصلحون ، تبعا لسنة الله في الأمم، فكلما أهلك الله أمة كافرة طاغية، أعقبها بأمة المؤمنين خلائف في الأرض مصداقا لقوله تعالى : ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليومنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾(يونس :13، 14).

وقد استفاد العلماء والباحثون من آيات الاستخلاف والتمكين أن عمران الأرض مأمور به شرعا وأنه من مقاصد الشريعة الكبرى، كما نص على ذلك كل من الطاهر بن عاشور وعلال الفاسي في مقاصد الشريعة.. يقول علال الفاسي رحمه الله : "المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع.."(3).. بل الاستخلاف والإعمار هو المقصد العام للشريعة كما يرى ذلك الباحث د عبد العزيز برغوت حيث يقول "والنظام المقاصدي ركب أصلا من أجل تحصيل مقصد كلي عظيم هو مقصد الاستخلاف الذي عنه تصدر المصالح البشرية... ففي كلية الاستخلاف وهي أصل الكليات الخمس وغيرها، نجد مصالح الفرد ومصالح المجتمع، بل ومصالح الإنسانية كلها"(4).

---

1 - في بحثه العمران في ظلال القرآن.تم تحميله من موقع المؤلف.

2- اقترحه الدكتور أحمد صدقي الدجاني الباحث الفلسطيني رحمه الله، في بحث له بعنوان : مستقبل العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارات المعاصرة، ألقي فيالمؤتمر الرابع عشر : حول حقيقة الإسلام فى عالم متغير، من تنظيم المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر مابين 20 -25 ماي 2002.

3- مقاصد الشريعة ومكارمها ط ثانية، مطبعة الرسالة الرباط 1979ص:41، 42.

4- في كتابه : . (المنهج النبوي والغيير الحضاري كتاب الأمة : ع 43 فبراير1995 ص: 46، 47.

من دلائل نبوة رسول الله ﷺ

عبد الرحمن بوعلي

ما أحوج الأمة اليوم -أكثر من أي وقت مضى- أن ترجع إلى الإشارات النبوية في أمر الفتن وما يخفيه المستقبل لهذه الأمة مما تفضل الله به على رسوله غيبا كان أو حاضرا، ظاهرا كان أو باطنا، ومما قد يندرج في معظمه ضمن أشراط الساعة، غير أني رأيت اعتباره من دلائل نبوته ﷺ تخفيفا للهول والوقع على النفوس الأبية، الغيورة على حرمات الأمة ، كيف لا ونحن نشاهد بعيني رؤوسنا، وفي الميدان ما أخبر به ﷺ محذرا من وقوعه قد جرى به العرف والعادة من غير حذر ولا هلع ولا خجل...

ولو كان الأمر متعلقا بمجرد خبر عابر لهان الخطب، لكنه ﷺ يطلب راغبا ربه مقبلا عليه في أمر طالما بكى لمصيره الحتمي، إنه أمر أمته التي جاء جبريل إليه من ربه يطمئنه على مصيرها قائلا : أي رب أمتي فيحد له حدا فيدخلهم الجنة " والحديث بطوله صحيح في الشفاعة التي أخبر بها النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولا فإذا سجد وحمد ربه بمحامد يفتحها عليه يقال له : أي محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع، فيقول: أي رب أمتي فيحد له حدا فيدخلهم الجنة(1).

هذه الأمة التي أريد لها أن تكون السواد الأعظم في الجنة، والتي طالما بكى لها، وعلى مصيرها سيد الأنام، هي التي تَسبح الآن في خبث الخبائث مستسلمة لما كان يخشاه نبيها ﷺ أن تقع فيه.

فعن زينبَ بنت جحشٍ أن رسول اللَّه ﷺ دخل يَوما فزِعا يَقول: «لاَ إلَهَ إلاَّ اللهَ ويل للعربِ من شرٍ قد اقتربَ فُتِحَ اليَوم من رَدمِ يَأجوجَ ومأجوج مثل هَذه» وحَلَّقَ بأُصبَعيه : الإبهام والتي تليها. قالَت زينب: فَقلت: يا رسول اللَّه أنُهلَك وفينا الصالحون؟ قال : «نَعم إذا كثُر الخَبَث»(متفق عليه).

قال ابن قتيبة: والخبث: الفسوق والفجور ، والعرب تدعو الزنا خبثًا وخبيثة، وفى الحديث أن رجلا وجد مع امرأة يخبث بها أى يزني. قال الله تعالى : ﴿الخبيثاتُ للخبيثين﴾(النور: 26).

فإذا كان النبي ﷺ يحذر مَن في زمنه من الفتن والخبث، والناس مع النبوة والقرآن يتنزل، والمعجزات تُرى من حين لآخر... فماذا عن الزمن الذي لا هم لأهله إلا في دنياهم وهواهم حتى إن السنن الكونية التي سخرها الله لبني آدم قد تغيرت عن وظائفها بفعل الطغيان البشري.

فعن أبي هريرة، أن النَّبي ﷺ قال : يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويُلقى الشحُّ، وتظهر الفتن ، ويكثُر الهَرج، قالوا : يَا رَسولَ اللَّه أيمَ هو؟ قال : القتل، القتل(2).

وعن أبي بكر بن أَبي شيبة، بسنده أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يومٍ من العالية، حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية دخل فركعَ فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا رَبهُ طويلا، ثُم انصرف إلينا، فقال ﷺ : "سَألت ربي ثلَاثا، فَأعطَاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي: أَن لاَ يُهلِكَ أمتي بالسنة فَأعطانيها، وسألته أن لاَ يهلكَ أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألتهُ أن لاَ يجعل بأسهم بينهم فمَنعنيها".

فهاهي الأمة يُبيد بعضها البعض كاشفة عن بأسها في جسمها، والعدو في مأمن بل في أبهى صور من السعادة يتشفى من الحال الذي تدنت إليه شعوب المسلمين.

فعن حمّاد بن سَلمة، عن عاصمٍ، عن أَبي وائل، عن عبد اللّه قال: "إنَّ اللَّه يجمع النَّاس في صعيد واحد بأَرض بيضاء كَأَنَّهَا سَبيكة فضّة، لَم يُعصَ اللَّه فيها قطّ، ولم يخطأ فيهَا، فَأَوَّل ما يتكلم بهِ أَنّه يُنادي : لمنِ الملكَ اليوم للَّه الواحد القَهارِ اليوم تُجزى كل نفس بِما كسبت لاَ ظلم اليوم إن اللَّه سريع الحساب، ثم يكون أَول ما يبدءون منَ الخصومات في الدنيا، فَيُؤتى بالقاتل والمَقتول، فيقالَ لَه : لم قتلت؟ فإن قال: قتلته » لتكون العزة للَّه، قال : فإنها لي، فَإن قال : قَتلته لتكون العزة لفلان، قال : فإنَّها ليست له فَيبوء بإثمه، فيقتله بمن كان قتل، بالغين ما بلغوا، ويذوق الموت عدّة ما ذاقوا".

فأين أنت يارسول الله لترى اليوم أمة الإسلام تنتهك حرماتها بيدها بل بسلاحها وقواتها، وتكشف عن بأسها وشدتها في جسدها، وكأنها تنذر بنهايتها واقعة فيما يخشاه رسول الله ﷺ حين سأل ربه ألا يجعل بأسهم بينهم.

وما أسَفُه ﷺ على عدم استجابة ربه لدعائه إلا لعلمه بخطورة هذا الأمر إذا حصل، كما أن طلبه في حد ذاته ينذر بأن أسباب فناء هذه الأمة تحملها في جسمها والعياذ بالله، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: «يَتَقَارَبُ الزَّمانِ وَيُقبض العلَمَ وَتظهر الفتن وَيُلقى الشُّحُّ ويكثر الهَرْجُ» قَالُوا: وما الهَرْج؟ قَال: «القتلُ»(مُتَّفَقٌ علَيه).

1- ينظر في كتاب : تحقيق الإيمان لابن تيمية 1 / 60

2- شرح صحيح البخاري لابن بطال 10 / 12.

(*) مشكاة المصابيح للتبريزي 3 / 1483 رقم الحديث 5389.

أهمية السنة ودورها في تكوين النشء السوي

ذة. بشرى كوكب

1- الرسول ﷺ المثل الأعلى في حسن الخلق :

ما من شك في أن السنة النبوية الشريفة تشكل بعد القرآن الكريم المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، مهمتها الأولى تفسير القران الكريم وبيان مفاهيمه ومقاصده لقوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾. ثم هي السبيل إلى معرفة تفاصيل الشريعة مما يهم المسلم فردا وجماعة في صورة مجسدة لمجموع مبادئ الإسلام من عقيدة وأحكام وأخلاق، من خلال أعظم إنسان وأسمى نموذج للمجتمع البشري بأسره لقوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾. بمعنى أنه ما من أحد بحث عن القدوة في جميع مراحل حياته يجدها في شخص رسول الله ﷺ وعلى أعظم ما يكون. كان ﷺ وما يزال المثل الأعلى للطفل الهادئ اللطيف النبيه، وللشاب المستقيم في سلوكه، وللأب في حنو عاطفته، وللمعلم في نصحه وبذل الجهد في التماس أجدى الطرق الصالحة للتربية والتعليم. فهو المثل الأعلى والنموذج الأسمى لكل شيء. وليس هذا بالأمر العجيب، فقد جاء في وصفه أنه كان خلقه القرآن، كما قالت عائشة رضي الله عنها، وأنه كان قرآنا يمشي على الأرض، نعم هو بشر، كما قال تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي..﴾، لكن بشريته ﷺ ليست كبشريتنا، بل هي بشرية ربانية محمية، لذلك لما نتعلم من رسول الله ﷺ كبشر فإننا نتعلم ونستوحي من سنته وسيرته ﷺ كيف تحقق من القرآن الكريم وكيف تخلق به وربّى عليه صحابته الكرام لنجعل ذلك عمادا ودليلا لنا في سلوكنا ونبراس نهتدي به.

2- نماذج من عناية الرسول ﷺ بتربية الأطفال :

وبذلك نستطيع أن نلمس ذلك الجانب المهم في حياة رسول الله ﷺ وفي سنته، المتمثل في العناية بالطفل والاهتمام به في كل مرحلة من مراحل نموه، بدءا بغرس المعاني الإيمانية وتعويده على العبادة، ومرورا بالجوانب الخلقية والنفسية.

ولنتعلم منه ﷺ كيف نغرس في قلب الطفل معاني الإيمان والتوحيد لما قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف ".

كان ﷺ على عظيم قدره وعلو منزلته هو الذي يبدأ بالسلام على الأطفال حبا لهم ورفقا بهم وتلطفا معهم ليشعرهم بمكانتهم ويعطيهم الثقة بأنفسهم.

كان ﷺ يمدحهم ويثني عليهم ويأمرهم بما يصلحهم، (فعن عبد الله بن عمر قال : كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤية قصها على رسول الله ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله ﷺ وكنت غلاماً شاباً وكنت أنام في المسجد في عهد رسول الله ﷺ فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار فإذا هي مطوية كطي البئر وإذا لها قرنان وإذا فيها أناس قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ بالله من النار قال : فلقينا ملكاً آخر فقال لي لم ترع. فقصصتها على حفصه فقصتها على رسول الله ﷺ فقال : (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل). فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلا.

ففي الحديث أراد الرسول ﷺ أن يلفت انتباه عبد الله إلى أهمية صلاة الليل. فاستخدم أسلوب المدح حين قال: (نعم الرجل عبد الله) ثم ذكر المقصود من النصيحة (لو كان يصلي من الليل).

فكانت النتيجة أن أمسى عبد الله بن عمر لا ينام من الليل إلا قليلا، في حين لم يكن لرسول الله ﷺ مانع في زجره وتخويفه مما رأى وأمره بقيام الليل، إلا أنه ﷺ اتخذ أسلوباً تربوياً رائعاً كان له أبلغ الأثر على نفسية وسلوك ابن عمر. إلى غير ذلك.

كل هذا الاهتمام منه ﷺ جاء لعلمه بأن هذا الطفل في أشد الحاجة إلى الرعاية والعطف والحنو أكثر من غيره، وذلك لتنمية ثقته بنفسه حتى ينشأ قويا ثابت الشخصية، مرحا عطوفا على غيره، عضوا فعالا في مجتمعه.

والغرض من ذلك كله تحفيزنا نحن على التأسي بقدوتنا وإمامنا محمد ﷺ، وبذل الجهد في ترسيخ محبته في قلوبنا وقلوب أبنائنا لأن محبته أصل من أصول الدين ومبدأ من مبادئه لا يستقيم إيمان مسلم بدونه، لأنه مرتبط بمحبة الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾، وقول النبي ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده".

لكن السؤال المطروح هنا هو كيف سنقدم هذه القدوة لأطفالنا وتلامذتنا بمنظور يلائم شخصية رسولنا الكريم ﷺ؟

3- سبل الاستفادة من سيرة النبي ﷺ وسنته في التربية :

1- أن نحرص على بيان شخصية رسول الله ﷺ كما بينها القران الكريم ﴿إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾.

2- أن نحرص على بيان جوانب القدوة من شخصيته ﷺ بشكل تربوي يلائم وحاجيات أطفالنا مع التأكيد على انه ﷺ هو النموذج المأمول لمن أراد النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

3- أن نحرص على بيان فضائله ﷺ ومكانته عند الله عز وجل وبين الأنبياء سلام الله عليهم، حتى يستشعر هذا الطفل قيمة هذه القدوة في نفسه فيكون اتباعه واقتداؤه به ناتجاً عن محبة صادقة له.

4- أن نحرص على أن نخصص لأطفالنا في بيوتنا حصصا راتبة لمدارسة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرته وتعويدهم على التخلق بذلك.

5- أن نحرص على إقامة برامج ثقافية كمسابقات في حفظ أحاديثه ﷺ، مع ضرورة اعتبار سن الطفل ومستواه العلمي، وذلك باختيار الأحاديث الصحيحة ذات العبارة القصيرة والمعنى السهل الهادف. فقد اخرج الترمذي عن ربيعة بن شيبان قال: قلت للحسن بن علي رضي الله عنه: ما حفظت من رسول الله ﷺ قال: حفظت منه :"دع ما يريبك إلى مالا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة".

ومن طريف ما يروى أيضا في حفظ الأطفال لحديث رسول الله ﷺ أن الإمام مالك كانت له ابنة قد حفظت موطأه، وكانت تقف خلف الباب أثناء درسه، فإذا أخطا أحد تلاميذه في الحديث نقرت الباب فيفطن مالك فيرد عليه.إلى غير ذلك.

6- أن نحرص على ضمان استمرار الطفل على هذا النهج، وذلك بتحفيزه ومكافأته سواء ماديا بمنحه جوائز تشجيعية أو معنويا بمدحه والثناء عليه، فانه يروى أن صلاح الدين الأيوبي كان يتجول بين العسكر وهو في خضم المعركة، فاجتاز على طفل صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن فاستحسن قراءته، فقربه وجعل له حظا من خاص طعامه ووقف عليه وعلى أبيه جزءا من مزرعته.

هكذا ينبغي أن يعيش الأطفال مع حديث رسول الله ﷺ، فيكون لهذا الكلام حتما وقع طيب في صدورهم وفي سائر سلوكهم، لأن الله عز وجل قد من عليهم وخصهم بنعمة لا يشاركهم فيها أحد، وهي تلك الذاكرة النقية البيضاء التي لا تحمل مشاغل وهموم الكبار، فنراهم بذلك سريعي الحفظ قليلي لما حفظوا النسيان في هذه السن المبكرة، فنضمن بذلك أن تتكون في ذهن وقلب كل صغير من هؤلاء صورة راسخة لرسول الله ﷺ من خلال ما قرأه من أحاديثه عليه الصلاة والسلام وحفظه وتخلق به وتربى عليه.

عبرة

رغم ما تمر به الأمة من فتن وأزمات، وما يعاني منه السواد الأعظم من الناس من فقر مدقع وبطالة، مع تراجع الدولة عن أداء وظائفها الاجتماعية في مجال الصحة والتعليم وتوفير البنى التحتية وخلق مناصب شغل. في ظل هذا الواقع الملبد بسحب الإحساس بالضياع واليأس، أبى من سَنُّوا سنة موازين السيئة إلا أن يضعوا رؤوسهم في الرمال، ويصموا آذانهم عن سماع أصوات الغيورين من أبناء هذا الوطن، الذين ما فتئوا ينادون بوقف هذه المهزلة، ورصد ما ينفق عليها من أموال لإنجاز مشاريع تنموية يستفيد منها شرائح من الناس ممن عضهم الفقر والمرض، ولكن هيهات .

ولو نار نفخت فيها أضاءت
ولكنك تنفخ في رماد

أبى القوم إلا أن يعضوا على هذه السنة السيئة بالنواجذ، ويستمروا في إشاعة الفاحشة، وتعبيد الناس لشهواتهم، واختزال الحياة في الرقص والغناء والخمور، وتهييج الغرائز الجنسية.

كذلك كان عباد الشهوات قديما وحديثا، صالوا وجالوا ثم أتاهم الله عز وجل من حيث لم يحتسبوا ومكر بهم.

فتلك قصصهم شاهدة، وإليك خبر أحدهم، اسمه بورقيبة كان يوما رئيسا لتونس، فحارب شعائر الإسلام، وزعم أن التقدم لا سبيل إليه إلا باتباع الغرب شبرا بشبر وذراعا بذراع، وألزم المرأة بخلع الحجاب، فسجنه الله في جسمه سنين طويلة، لا يستطيع حراكا، وأحياه الله تعالى حتى رأى بنته تدخل عليه لتعوده وهي تلبس الحجاب. تلك عادة الله عز وجل يهزم أعداءه في عقر دورهم، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ذ. منير مغراوي
mounir taha@hotmail.fr

لِمَ دعا القرآن الكريم.. (تتمة)

الجمعة وعدم إدخال أي شيء يمكن أن يشوش على هذا الاستماع، حتى ولو كان ذلك الشيء تنبيها للآخر إلى هذا الاستماع، لأن تنبيهه يكون، في الغالب، نتيجة ملاحظته أن هذا الآخر لا يستمع، ولن تتم هذه الملاحظة إلا بنوع من الشرود عن الاستماع من قبل المنبه، سيما وأن عدم الاستماع لا يكون في الغالب إلا من قبل الجهال، كما ذكر ذلك ابن حجر في تفسيره لهذا الحديث.

ومعلوم أن الاستماع المقصود هنا ليس هو ذلك الاستماع العابر الذي يمكن أن يحدث دون أخذ بعين الاعتبار للمتكلم، وإنما هو ذلك الاستماع الذي يعيه القلب ويدركه العقل، إنه ذلك الاستماع بكل ما تعني الكلمة من معنى، حتى يقود إلى التأمل والتدبر. ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾. قال ابن كثير: "﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي لب يعي به. وقال مجاهد: عقل، ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي استمع الكلام فوعاه وتعقله بعقله، وتفهمه بلبه. وقال مجاهد: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾، يعني: لا يحدث نفسه في هذا بقلب، وقال الضحاك: العرب تقول: ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه، وهو شاهد بقلب غير غائب". أما الاستماع اللاهي الذي يكون بالآذان دون وعي أو إدراك فهو من صفات العابثين غير الجادين، ولذلك وصف الله تعالى به المشركين قائلا: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ. لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾. قال القرطبي:"قوله تعالى:﴿لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أي ساهيةً قلوبهم، معرضةً عن ذكر الله، متشاغلةً عن التأمل والتفهم؛ من قول العرب: لَهَيْتُ عن ذكر الشيء إذا تركتَه وسلوتَ عنه" كما جعلهم تعالى في آية أخرى صما بُكما عميا لا يعقلون وذلك في قوله عز وجل: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾، لأن منافذ الإدراك وفي مقدمتها السمع قد عطلت وسدت وفسدت عليهم كما قال ابن القيم رحمه الله. ولعله لهذا السبب قال الحسن البصري: "إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول..."، وكان يقال: "أول العلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العمل به، والخامس نشره". وكانت الحكماء تقول: "رأس الأمر كله حسن الفهم والتفهم والإصغاء إلى المتكلم".

نافذة المرأة المسلمة

أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

متى نعيد الاعتبار لهذا الدين..؟!

ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم

مرة أخرى تمرغ سمعة المغاربة في وحل الدعارة بإعلان جهات فرنسية نافذة أن فلذات أكبادنا من الأطفال كانوا مرتعا سلسا لتحرير أمراض زبدة الطبقة السياسية الفرنسية من هوسها الشيطاني الغرائزي.

كأن مهنتنا الوحيدة، أن نكون مرتعا لإعادة التوازن البيولوجي لساسة العالم المتحضر. وبعبارة أخرى مجرد محطة نزق محسوب للتزود من بنزين سائب قبل الرحيل الآمن إلى ديار الديمقراطية جدا لمحاصرة مسلمينا وإحصاء أنفاسهم بحجة تجنيب بلدانهم زحف الأسلمة، مع ما يستتبع حصارهم من تضييق شرس على جالياتنا الإسلامية، ونموذج ذلك، الحصار الجائر على نسائنا المحجبات ورجالنا الملتحين، والتهمة جاهزة : التطرف والإستعداد الفطري للإرهاب وتخريب الحضارة..

مع مرور الوقت نفهم طبيعة هذه الحضارة التي ظلت ترمي بأبنائنا في جوف المحيطات وتسلب لبهم وراء رنين مالها وأضواء عبثها وشقرة نسائها.

حضارة البهائمية، وحاشا البهائم أن تتردى إلى هذا المستوى من القسوة حد هتك براءة صغار أذلهم الفقر والحاجة، ولم يتورع المتحضرون عن استغلال تلك الحاجة أبشع استغلال.

هم زبدة المجتمع إذن بل وحتى قادته الأوائل، وهناك من يخمن أن الأمر يتعلق بوزير الثقافة جاك لانغ الفرنسي وتلك الطامة بلا شك. وقد فجر فيلسوف فرنسي الفضيحة حين صرح بأن جهات نافذة أخبرته أن وزيرا فرنسيا ضبط في حالة فساد ومجون مع شباب قاصرين من طرف الشرطة المغربية بمراكش وتم التستر على الفضيحة ورحل الرجل في سرية وكتمان تام للفضيحة.

وغير بعيد عن هذا الموبوء طلعت علينا صحافة الفضائح بخبر المغربية روبي التي لم يفصل السيد الرئيس برلسكوني في حيثيات تعاطيه الفساد معها وهي القاصر، بقدر ما أطنب في شرح عواطفه الإحسانية تجاهها كفتاة صغيرة فقيرة تم القبض عليها بتهمة النشل، وسعى هو المنقذ لإطلاق سراحها تقديرا لظروفها القاهرة التي دفعتها للسرقة. لتعلق على جبيننا إضافة إلى يافطة الدعارة يافطة الفقر والسرقة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المغاربة بحكمتهم العجيبة يقولون في مثل مغربي جد عميق (اللي ضرباتو يديه ما يشكي)، ومع ذلك يغيضنا حد الاختناق هذا الشعور بانتفاء قيمتنا وهواننا على هؤلاء المتزعمين لموكب الحضارة، ففسادهم مجرد نزوات عابرة وحياة شخصية، وحقوق فردية لا حق لأحد في النبش فيها. وفسادنا هو مؤشر علمي على أننا أرذل وشهوانيون وغرائزيون، ولا سبيل لرقينا وتحضرنا لأننا نحمل جينات التخلف في مسامنا.

إن سنن المولى عز وجل في قوله سبحانه : ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، وعلى سبيل المثال لا أحد قال للمغربية روبي أن تحترف عرض جسدها لكسب عيشها وغيرها كثيرات ممن تهدهن حياة الضنك بالمعامل ولا يبعن عرضهن بمال الدنيا.

ولا أحد وضع المسدس بعد شحنه بالذخيرة الحية على رؤوس أطفالنا وساقهم إلى مخادع المرضى من سائر الأجناس.

إنهن وإنهم هم الذين يتصيدون الغربيين، بل يطاردونهم أينما حلوا، وكما نقول نحن المغاربة : المعروضة من الخير.

لكن مهلا إن هؤلاء وأولئك من بناتنا الذين يتقنون فنون رمي الشباك على الخواجات هم قبل كل شيء إفراز لمرض عضال غدا يتسرب إلى مجتمعنا بشكل خطير، مرض الديوثية وتقبل الخبث في الأهل والنفس، مرة باسم الفقر ومرة باسم حقوق المرأة ومرة باسم التسلق الطبقي وحرق المسافات إلى الغنى الحرام..

وهي الأمراض التي يجب أن يحاسب فيها جناة عديدون، فبالإضافة إلى المؤسسة الأسرية الغائبة هناك مؤسسات المجتمع المدني التي تقرن بين التدين والتطرف عسفا وتقليدا للغرب، وبالتالي تحاصر المد الديني وتحصي عليه تحركاته وتراقب سكناته.. وهو الحجر الذي ضخم كرة الثلج الدينية حتى غدت بعبعا أفضى بالمؤطرين والقيمين الدينيين إلى إيثار السلامة والتنكر لمسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجريد خطبهم من النفس التخليقي المتصل بكل شؤون المسلمين، فخلت الساحة للإستئصاليين، فما عادوا يقنعون إلا بإسلام كنسي الطابع، طقوسي ومنبوذ.

علماء وراء قضبان العلمانية

من يجول الآن في أرجاء العالم العربي، لا يمكن إلا أن يستشعر الألم الشديد والحسرة، بل الخوف العظيم مما يحمله الغد لهذا العالم الذي نسي الله فسلط عليه من يعيده كرها إلى الله عز وجل لطلب رحمته ولطفه. وها نحن نرى كيف نزعت المهابة من صدور أعدائنا فطفقوا يشيعون سيناريوهات تمزيقنا جهرا.

ولقد اطلعت عبر بوابة الأنترنيت على صور مشاعة للعالمين للفيلسوف الفرنسي، اليهودي الأصل، الصهيوني الحقد على المسلمين هنري ليفي، حيث توجد صوره بمجرد النقر على اسم برنارد هنري ليفي وهو ينتقل بين ساحات الثورات العربية مصر وليبيا، والعراق وأفغانستان، ثم وهو مع كبار المنتفضين في الثورة الليبية لتوجيههم إلى أنجع السبل لقلب أنظمتهم. علما أن لا أحد يقبل فساد هذه الأنظمة، دون أن يعتبر هذا الفساد مبررا للاستعانة بأعداء الأمة الذين لن يدخروا وسعا في سبيل تشتيت الدول الإسلامية وإحالتها إلى وضع الفوضى المعممة لتسويغ نهب ثرواتها وإسقاط ثقافتها وعنوان عزتها الإسلام.

وإذا كان هذا الحال في الدول العربية فكيف بالمغرب، ونحن نعاين رؤوسا للفتنة تلوح بإشعال البلد. فتن عنصرية عصبية، تتنكر للغة الوحي اللغة العربية.

وفي المقابل تدعو إلى الانفتاح على ثقافة البحر الأبيض المتوسط وتدمج ضمنها ثقافة الصهاينة.

ألا تبين هذه الدعوات الجاهلية التي سمقت على حين غرة أن هناك أيادي في الخفاء تريد أن تسحب من المغاربة توادهم وتراحمهم وتوقد فتيل الفرقة بين الجميع عرباً وأمازيغ وصحراويين وشماليين ووووو إلخ؟؟؟

وفي المقابل أليس من أوجب الواجبات التصدي لهذا المد الهدام بإعادة أمر تدين هذه الأمة، وعودتها إلى قيمها النبوية الأصيلة، إلى علمائها ومؤطريها الدينيين ألم يحن الوقت لإعادة التفكير في وضعية هذه الشريحة من أهل الله الذين تمت الاستهانة بما في صدورهم من علم، ووضعوا رهن إشارة أهواء العلمانيين يرسمون لهم دائرة الحركة والسكون، ومن تجاوز هواهم المتربص بالدين وغامر بقول الحق، تم توقيفه وإنزاله من المنبر، وهي لعمري سياسة شيطانية استهدفت إضعاف الجسم التأطيري لعقيدة المغاربة وتشبثهم بدينهم، حتى إذا بهتت معالم الدين وانحسر دور العلماء الأفاضل داخل مجتمعهم كر المتربصون بهذا البلد لاستهداف إمارة المؤمنين فإذا انفرطت هاته العروة، سيطالبون بحل الحركة الإسلامية ووزارة الأوقاف والمجالس العلمية، كما تم في السنوات الماضية الانقلاب على حصة التربية الإسلامية وقلصت إلى أدنى حد واستفرغت من روحها وتم تغريبها بشكل كاريكاتوري يبعث على البكاء..

آيبون... تائبون!

ذة. نبيلة عزوزي

20– الحقيقة!

أصبحت عصبية، غاضبة، مترددة.. هل تصارحه؟! هل تنتقم منه بطريقتها؟! هل تذهب إلى أهلها؟! هل تطلب الطلاق.. هل؟!

أرقتها الحيرة.. فذلك الشيخ الوقور الحاج فلان لا يمكن أن يكذب!

شاع الخبر كالدخان.. استشارت ابنتها الكبرى : فقالت لها بحكمتها المعهودة : أبي لا يمكن أبدا أن يغضب الله.. فإن كان قد أخفى عنك زواجه، فلأنه يقدرك ويحترم مشاعرك.. بالعكس، تعاملي معه عادية وكأنك لم تسمعي شيئا!

تناست الأمر، لكن الوساوس تحفر بداخلها أخاديد ألم وحزن..

في مناسبة عائلية، همس ذلك الشيخ في أذنها : انظري هناك.. تلك الشابة هي التي أخذت منك زوجك.. أقسم أني رأيتهما في تلك المدينة البعيدة، يتجولان يدا في يد كعاشقين!

ذهلت المرأة.. صاح الشيخ أمام الحاضرين : حرام عليك.. مع منْ..؟! مع صبية في عمر ابنتك؟!

قهقهت الزوجة.. قهقه الحاضرون!

فمن تكون الشابة؟!

إنها ابنتهما الكبرى!

بكت المرأة سعادة، لأن الله هداها وألهمها رشدها، ولم تشتت شمل أسرتها.. وكانت كلما سيطرت عليها الوساوس، فرت إلى الله بالدعاء.. واستغفرته كثيرا، فإن بعض الظن إثم. كانت تعيش جحيما، وهي تنقب عن دليل إدانة لزوجها، تشك في حركاته وسكناته، وتعد له العدة للانتقام منه.. لكن الصبر عقلها، والدعاء لجم لسانها عن أي كلمة تهدم أسرتها..!

حين همت بالاعتذار لزوجها.. أخبرها أنه، بدوره، تحمل عذابا لا يطاق، فقد تحمل القذف مدة طويلة.. فكان كلما التقى قريبا له، أنَّبه متهما إياه بالزنا.. وهناك من هجره وشهر به.. وكان بدوره يدعو الله أن يثبت زوجته ويحفظ أسرته من التشتت.. وكان يعرف أنها لم تنج من تلك الإشاعة.. غير أنه كان يزداد كل لحظة حبا وتقديرا لها، لأنها كانت تتسلق قمم التسامي رغم الألم!.

رسائل جامعية

نوقشت يوم الإثنين 23 ماي 2011م بجامعية مولاي إسماعيل كلية الآداب مكناس أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية في موضوع :

"**أصول القراءات للإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي : دراسة وتحقيق**" تقدم بها الباحث مصطفى الزكاف، وتكونت اللجنة من د. محمد السيسي مشرفا ومقرراً، ود. مولاي عمر بن حماد رئيسا، ود. محمد الوادي ود. عبد العلي مسؤول ود. عبد العزيز اليعكوبي أعضاءاً.

وبعد المناقشة قرر اللجنة منح الباحث ميزة **مشرف جداً مع التنويه**.

فهنيئا للدكتور مصطفى الزكاف ومزيدا من العطاء.

ونوقشت يوم الثلاثاء 24 ماي 2011م بجامعية مولاي إسماعيل كلية الآداب مكناس أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية في موضوع :

"**القضاء في الفقه الإسلام والقانون : بحث في شروط القضاء ومقاصده**" تقدم بها الباحث **عبد اللطيف احميد**، وتكونت اللجنة من د. محمد السيسي مشرفا ومقرراً، ود. عبد الحق حنشي رئيسا، ود. إدريس اجويلل، ود. محمد عبادي أعضاء.

وبعد المناقشة قررت اللجنة منح الباحث ميزة **مشرف جداً**.

فهنيئا للدكتور عبد اللطيف احميد ومزيدا من العطاء.

التوجيه التربوي بين البناء والهدم

د. عبد الرحيم الرحموني

مصطلح التوجيه، يحمل مفهوما ذا جاذبية كبيرة، وما يمكنه إلا أن يكون كذلك، فهو يحمل في الاصطلاح مفاهيم متقاربة ومتداخلة، ومن بينها:

"التوجيه إرشاد للفرد إلى الطرق المختلفة التي يستطيع عن طريقها اكتشاف واستخدام إمكاناته وقدراته، وتعليمه ما يمكّنه من أن يعيش في أحسن حال ممكن بالنسبة لنفسه ولمجتمعه الذي يعيش فيه".

وبصورة عامة فإننا جميعا نتحمل تبعات التوجيه التربوي الذي من المفترض أن "يستفيد" منه أبناؤنا في مرحلتين: مرحلة نهاية التعليم الإعدادي، حيث إن التلميذ يختار بين اتجاهين مشهورين: اتجاه أدبي أو اتجاه علمي، فضلا عن التوجيه الاقتصادي أو التقني. ثم بعد ذلك في نهاية السنة الأولى من الثانوي(جذع مشترك) يختار التلميذ بين عدد من التوجهات داخل المسار الأدبي أو المسار العلمي.

ومن الناحية المبدئية والتربوية والأخلاقية يفترض أن يكون الموجه التربوي ومعه الأساتذة عونا للتلميذ لاختيار ما يناسبه من التخصصات حسب مؤهلاته واستعداداته، وتبعا لما يرغب فيه من تكوين يؤهله لكي يكون خادما ناجحا لمجتمعه ووطنه، وقبل ذلك وبعده، يؤهله لبناء مستقبله.

غير أن واقع التوجيه في العديد من مؤسساتنا التعليمية لا يسير وفق هذا المبدأ، فهو إما أن يكون مبتور الفائدة، عديم النفع، لا يزيد على لقاء محدود مع التلاميذ، يخرجون بعده وهم بين حيص بيص، لا يعرفون ماذا يفعلون ولا أين يتوجهون. ومن ثم يبقى كل واحد منهم رهين الإشاعات والتخرصات التي يسمعها من هذا التلميذ أو ذاك، ممن هو في مستواه أو ممن هو فوقه ممن ذاق، هو الآخر، مرارة التوجيه المبني على الإشاعات والمرويات، وليس على أساس تربوي سليم، وقد يتأثر بمن كان ضحية هذا النوع من التوجيه، "ليفتي" له بما يكون وبالا عليه وعلى مستَقبله. وإما أن يكون هذا التوجيه هادما جملة وتفصيلا عن طريق تزكية المقولات التي لا تخدم مستقبل التلميذ، ولا الوطن بأكمله، حيث إن العديد من التلاميذ يذكرون أنه قيل لهم، في أكثر من سنة، وفي أكثر من مقام، وفي أكثر من مكان: "إذا أردتم المستقبل فعليكم بالرياضيات، لتكون مهندسين، وحتى الطِّب لا تفكروا فيه، ماذا تفعلون بثلاث عشرة سنة دراسة؟ أما الأدب واللغات فهي للفاشلين".

مضمون هذا الكلام هو الذي يُلاكُ، حتى وإن لم يكن بهذا اللفظ، ومن الأكيد أن كلاما مثل هذا لا ينبغي أن يقال، ولا يجب أن يصدر عن موجه لأنه يمكن أن يؤدي بشريحة كبرى من التلاميذ إلى الاتجاه غير السليم، فتكون العاقبة الانقطاع عن مواصلة الدراسة، بسبب ما يشعر به أنه عجز، ولكنه ليس كذلك بل هو سوء توجيه لا غير.

ومن الواضح أن كلامنا هذا لا ينبغي أن يُعمم، فهناك من الموجهين من يبذل قصارى جهوده في سبيل تقديم النصح للتلاميذ، بتخصيص الوقت الكافي لذلك، وتوضيح ما ينبغي إيضاحه فيما يتعلق بالتوجيه كيفما كان شأنه ومستواه.

غير أن الذي ينبغي أن نقف عنده، هو ما يمكن أن نسميه ب"الرأي العام" المتعلق بالتوجيه المدرسي، ذلك أن هذا الرأي العام يجمع، أو يكاد، على أن التوجيه اللائق والأنسب للتلاميذ، وربما أقول للتلاميذ الذين ينبغي أن يكونوا في المستوى -وفق هذا التصور العام - هو التوجه نحو"العلوم الرياضية" وأما ما دون ذلك فيبقى شذوذا أو ضياعا للوقت أو "لا مستقبل"، وكان الوجود منذ أن قام، قام على الرياضيات، وكان الناس منذ أن كانوا وإلى الآن ما أكلوا خبزا إلا بالرياضيات، وكان التنمية رهينة بأن يكون جميع أبنائنا وبناتنا في تخصص الهندسة.

طبعا أنا لا أقول هذا استخفافا بالرياضيات أو انتقاصا من شأنها، أو إلى ما يمكن أن تؤدي إليه من تكوينات، وأنَّى يكون ذلك وقد كنت عاشقا لها ومتفوقا فيها في المرحلتين الإعدادية والثانوية، وكان من المفروض أن أتوجه إليها وفق منطق التوجيه السليم، فكيف بالتوجيه "المُغرِض"، ولكن مع ذلك آثرت عن رضى واقتناع، أن أتوجه توجها آخر أحقق فيه ذاتي ورغبتي وميولاتي.

كما أني لا أقول هذا طعنا في من كانت ميولاته تتجه نحو التخصص الرياضي، حيث يكون فيها متفوقا ونابغا، ويكون مؤهلا لإتمام مسيرته العلمية التي يحلم بها إلى النهاية.

ولكن أقول هذا في من ليس له اهتمام بالرياضيات أصلا، وليس له طبع فيها ولا تفوق، ومع ذلك يُدفع دفعا إلى التوجه نحو اعتمادها في توجهه، **حيث إننا نجد العديد من العائلات والأسر تبذل جهودا مضنية من كدّ وجهد من أجل أن يتوجه أبناؤهم نحو العلوم الرياضية، استجابة ل"الرأي العام" الذي يرى أن الذي لا يتوجه هذه الوجهة يبقى "مسكينا" أو"متخلفا"، فتُبذل أموال وتُهدر جهود من أجل إيجاد ما لا يوجد، وتكوين ما لا يتكون، وتكون العاقبة سيئة بالنسبة لهؤلاء التلاميذ الذين يجدون أنفسهم قد أخطأوا الطريق، لكن بعد فوات الأوان، فلا هم بالرياضيات حصلوا شيئا منها يؤهلهم نحو بناء المستقبل المنشود، ولا هم بتخصص آخر نهلوا منه منهلا يؤهلهم نحو تكوين مناسب لميولاتهم واهتماماتهم. وتكون العاقبة أنا خسرنا شبابا كان بإمكانهم أن يكونوا بُناة لمستقبلهم ووطنهم لو أنهم وُجهوا توجيها سليما.**

ما الذي يضير التلميذ الذي ليس له طبع في الرياضيات وله طبع في الآداب أو اللغات أن يتوجه توجها أدبيا أو لغويا.

ما الذي يضير التلميذ الذي له اهتمام بالعلوم الشرعية ومتفوق فيها أن يتوجه هذا الاتجاه؟؟.

لقد مضى حين على الأمة وهي تلوك مقولة "الأدَب مَا يُوَكْلُشْ الخُبْز"، حيث قيلت لي هذه العبارة، وأنا ما زلت في مرحلة التعليم الإعدادي، ولقد نيّفْت اليوم على الخمسين وما زلت أسمع هذه العبارة، وما شابهها من العبارات التي تنتقص من قيمة الدراسات الأدبية والعربية والشرعية.

إن المتتبع لتاريخ الأمم ومساراتها الحضارية والعلمية تتبعا دقيقا سيدرك بكل وضوح أن البناء الحضاري لهذه الأمم لم يتم على أساس تكوين أبنائها تكوينا وحيدا يتيما، بل على العكس من ذلك كانت الشمولية والتكاملية الطابع العام للتكوينات العلمية، وذلك قبل أن يسود ما يعرف بالمنهج والتخطيط للمستقبل، فردا وجماعة. أمّا ونحن في عصر المستقبليات فإن المنطق السليم يقتضي أن نعرف، بعلم، حاجات مستقبلنا، ونراعي، بعلم أيضا، طبائع أبنائنا ورغباتهم، حتى نبني لهم مستقبلا يتم من خلاله أيضا بناء مستقبل الوطن والأمة.

على هذا الأساس فإن التوجيه التربوي قد شُيد في عصرنا هذا بشكل مقلوب، وأن هرم التوجيه ينبغي أن يعدل ليصبح وفق الترتيب التالي: الاختيار الأول : العلوم الشرعية.
الاختيار الثاني : العلوم الإنسانية والاجتماعية.
الاختيار الثالث : العلوم المادية.

بل يمكن أن نلاحظ أن بناء الحضارات كان ينطلق من بناء الهوية، وبناء الذات، وهو ما لا يتم إلا عن طريق تكوين المواطن تكوينا معرفيا يبدأ بما هو عقدي وإنساني، لينتهي بما هو مادي ومنطقي.

وعلى هذا الأساس فإن التوجيه التربوي قد شُيد في عصرنا هذا بشكل مقلوب، وأن هرم التوجيه ينبغي أن يعدل ليصبح وفق الترتيب التالي :

الاختيار الأول : العلوم الشرعية.

الاختيار الثاني : العلوم الإنسانية والاجتماعية.

الاختيار الثالث : العلوم المادية.

قد يقول قائل : وما لهذا الشخص يريد أن يقلب ما تعارف عليه القوم منذ زمان؟؟ أيريد أن يعيدنا قرونا إلى الوراء؟!

لا ليس الأمر كذلك، بل نريد بناء وطننا وأمتنا، ولقد شهد تاريخ الحضارات قديمها وحديثها، أنه ما بُنيت أمجاد ولا شُيدت حضارات إلا في ظل العقيدة، وتاريخنا المغربي والإسلامي شاهد على ذلك.

إن ما نشاهده من أخطاء في الشأن الديني، من سوء فهم أو غلو فيه وتطرف، أو ازدراء به أو تهميش له، يعود بالدرجة الأولى إلى أن العديد من الذين يخوضون فيه ليسوا مؤهلين لا عقلا ولا شرعا ولا لغة ولا تاهيلا، ومن ثم تحدث الكوارث التي تحدث على امتداد الساحة الإسلامية باسم الدين، ولذلك من الواجب شرعا وعقلا، أن تتوجه فئة متفوقة من التلاميذ نحو دراسة العلوم الشرعية وتُدفع إلى ذلك دفعا وتشجع ماديا ومعنويا، وأن يخصص لخريجيها ما يخصص لخريجي المدارس الهندسية من منح ورواتب، حتى يُعاد للشأن الديني فقها وإفتاء وممارسة واجتهادا مجده الزاهر، وحتى يكون سيرنا على منهاج النبوة، وسطيا لا إفراط فيه ولا تفريط. وصدق الله العظيم إذ يقول: "وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون". قال ابن عاشور رحمه الله: "ولذلك كانت هذه الآية أصلا في وجوب طلب العلم على طائفة عظيمة من المسلمين وجوبا على الكفاية، أي على المقدار الكافي لتحصيل المقصد من ذلك الإيجاب"

ثم إن ما نشاهده من ضعف لغوي، ليس في العربية فقط، بل في سائر اللغات، يدل على أن الشأن اللغوي ينبغي أن تُوجه له هو الآخر فئة من المتميزين للتخصص فيه، بهدف تكوين علماء لغة قادرين على النهوض بلغتهم؛ إذ لا تقدم لأمة إلا بتقدم لغتها، بجعلها مواكبة للتطورات الحديثة.

وإن ما نشاهده من ضعف معرفي مهول في منظومتنا المعرفية والحضارية، يدل على أنه ينبغي أن يتولى هذا الشأن فئة من المتفوقين، وأن يُتعهدوا بكل ما يلزم من تشجيعات معنوية ومادية.

وعلى أساس هذا المنهاج يمكن أن يحصل التقدم الحضاري المنشود، بترشيد التوجيه نحو العلوم الأخرى، وخاصة الإنسانية منها، إذ أن بناء الحضارة هو بناء للإنسان، ولن يتم بناء للإنسان إلا إذا عرفنا ما يخدم هذا الإنسان وما لا يخدمه.

وأما أن يبقى التوجيه التربوي تبعا للرأي العام السائد في هذا الباب فسنبقى خمسين سنة أخرى، لنجد أنفسنا ما زلنا ندور في نفس الدائرة.

صحيح أن هذا النوع من التوجيه لا يتحمل مسؤوليته "الموجهون"، بل يتقاسم المسؤولية فيه كل من له صلة به، بدءا بالجهات الرسمية، وانتهاء بمن يعاشر التلاميذ، في البيت والمدرسة على حد سواء.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

■ داخل المغرب : 60 درهما.

■ خارج المغرب : 20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الاشتراكات باسم :

■ جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية. ■ أو **جريدة المحجة** على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين - فاس) رقم: 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :
حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات
فاس - المغرب

جدل العقل والهوى في نفس الإنسان

ذ. طارق زوكاغ

خلق الله النفس البشرية في أحسن تقويم، وكلَّفَ النَّاس بتَرْبِيَتِهَا وتَزْكِيَتِهَا، وجعل جزاءَ من يَنْجَحُ في هذه المهمة؛ الفَوْزَ والفَلاَحَ في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾(الشمس : 9- 10).

وبما أن النفس الإنسانية حقيقة غَيْبِيَة لا يستطيع الإنسان إدراك ماهيتَها؛ فإن الله سُبحانه عَرَّفَنَا في القرآن الكريم بخصائها و قوانينها ومراتبها و منهج صلاحها وإصلاحها(...)؛ حتى يَسْهُلَ علينا التعامل معها .

وفي هذه الأسطر سَنَتَعَرَّفُ على أهم ما يؤثر في النفس إيجابا وسلبا؛ وهما (العقل والهوى).

أثر العقل على النفس:

"العقل في اللغة عبارة عن قيد البعير لئلا يَنِد، وسُمي هذا الجوهر به تشبيها على عادة العرب في استعارة أسماء المحسوسات للمعقولات"(1)، وهو قسمان (غريزي ومستفاد)؛ القسْم الغريزي يُخْلَقُ مع الإنسان ووجوده فيه أمر فطري كوجود النخل في النواة والسُّنْبُلَة في الحبة، والقسْمُ المُسْتَفَادُ يَنْتُجُ بقَدر اجتهاد الإنسَان في تحصيل العلم(2).

فالعقل أشرف القوى في الإنسان وخاصيته التي يتميز بها عن البهائم؛ وبَصيرَتُهُ التي يُمَيِّزُ بها الصالح من الطالح والحسن من القبيح من سلوكاته، و"كما أن البدن متى لم يكن له بَصَرٌ فهو أعمى، كذلك النفس متى لم يكن لها بَصيرَةٌ؛ أي عقل غريزي فهي عمياء"(3) .

في أثر الهوى على النفس :

الهوى هو"الشهوة الغالبة إذا استتبعتها الفكرة"(4)، و"هو: ميل النفس إلى الشهوة، وقيل: سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية،(...). وقد ذَمَّ الله تعالى اتباع الهوى فقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾(الجاثية : 23)، وقال سبحانه ﴿وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾(ص : 26)"(5)، ومنه يظهر الأثرَ السلبي للهوى على النفس؛ حيث إن اتباعه بإطلاق قد يصل بصاحبه إلى تقديس ذاته وعبادتها -والعياذ بالله-.

الفرق بين العقل والهوى :

"النفس تُريد ما تريد بمشورة العقل تارة، وبمشورة الهوى تارة"(6)، ولتخليص النَّفس من ضَرَرِ الهوى وخَطَرِه عليها، و تَبَصُّرِها بحكْمَة العقل وأنوارِه؛ يَتَحَتَّمُ علينا أن نُمَيِّزَ الفروق بينهما(العقل والهوى) حتى يتَجَلَّى كل واحد منهما أمام بصائرنا، فنَتَّبِع ما يُمليه العقل لأنه يكون صوابا، ونجتَنَب ما يمليه الهوى لأنه لا يكون إلا خطأ، وأهم تلك الفروق-كما ذكرها الراغب الأصفهاني-؛ هي:

1- "العقل يُري صاحبه ما له وما عليه، والهوى يُريه ماله دون ما عليه، ويعمي عليه ما يعقبه من المكروه(...)، لذلك ينبغي للعقل أن يتهم نفسه أبداً في الأشياء التي هي له لا عليه، ويظن أنها هوى لا عقل يلزمه، وينبغي أن يستقصي النظر فيه قبل إتمام العزيمة، حتى قيل إذا عرض لك أمران فلم تدر أيهما أصوب فعليك بما تكرهه لا بما تهواه، فأكثر الخير في الكراهة، قال تعالى :﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة : 216)".

2- "من شأن العقل أن يرى ويختار أبدا الأفضل والأصلح في العواقب، وإن كان على النفس في المبدإ مؤنة ومشقة، والهوى على الضد من ذلك فإنه يؤثر ما يدفع المؤذي في الوقت وإن كان يعقب مضرة من غير نظر منه في العواقب كالصبي الرمد الذي يؤثر أكل الحلوى واللعب في الشمس على تناول الإهليلج والحجامة".

3- "ما يرى العقل يتقوى إذا فزع فيه إلى الله عز وجل بالاستخارة، وتساعد عليه العقول الصحيحة إذا فُزع إليها بالاستشارة، وينشرح الصدر إذا استعين فيه بالعبادة، وما يرى الهوى فبالضد من ذلك".

4- "العقل يرى ما يرى بحجة وعذر، والهوى يرى ما يرى بشهوة وميل، و ربما تشبه الهوى بالعقل فيتعلق بحجة مزخرفة ومعذرة مموهة، كالعاشق إذا سئل عن عشقه"(7).

إذن؛ معرفة هذه الفروق وفقْهُهَا واستيعابها وتطبيقها يجعلنا على بَيِّنَةٍ بالطرق العملية التي نَحفظ بها أنفسنا، وتُسَهِّلُ علينا تهذيب و ضبط سلوكاتها، ومن ثَمَّ تربيتها وتزكيتها.

1- يُنظر "الذريعة إلى مكارم الشريعة" للراغب الأصفهاني، ص:102 ، الباب الرابع: في منازل العقل واختلاف أساميها بحسبها.

2- 3- نفسه، ص :98، الباب الثاني: في أنواع العقل.

4- نفسه؛ ص: 50، الباب الرابع عشر:في الفرق بين ما يسموه الهوى وما يسموه العقل.

5- الراغب الأصفهاني؛ "مفردات ألفاظ القرآن"، ص: 690.

6- نفسه، ص :50، الباب الرابع عشر:في الفرق بين ما يسموه الهوى وما يسموه العقل.

7- نفسه، ص : 48-49.

حوار مع الدكتور هيثم الخياط (تتمة)

أجنبية، شيئا فشيئا يقتنع بأن اللغة العربية لا تصلح لمثل هذه الأمور. فنحن إذن بهذا الشكل نساهم في إقناعه بأن اللغة العربية غير صالحة لهذا العصر، مع أن العكس هو الصحيح و اللغة العربية هي أصلح من سواه ولو استطعنا أن ندافع عن اللغة العربية كما ينبغي أن يدافع عنها ، ولو استطعنا خدمتها كما تجب الخدمة، لوجدنا الأمر مختلفا تماما. هذا من وظائف المجامع، وبعضها يقوم بها، أو يحاول القيام بها، وبعضها مقصر في هذا الدور.

● في سياق العولمة، وفي سياق تفاعل اللغات و تبعيتها للجهة الاقتصادية والسياسية يتنبأ البعض مستقبلا أن تموت اللغة العربية وتتعرض للانقراض في غضون المائة سنة أو أقل من ذلك .

●● من قال ذلك؟

● في تقرير الأمم المتحدة ..

●● أنا أعمل في الأمم المتحدة، ولا يوجد مثل هذا التقرير أبدا،

● في المؤتمر الأخير (مؤتمر جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه) ذكر أحد المحاضرين ذلك وتنبأ بأن اللغة العربية يمكن أن تموت في خلال ستين سنة إذا استمر الوضع الحالي.

●● وليس كلامه صحيحا، لأن اللغة العربية من حيث سعتها وانتشارها هي اللغة الرابعة حاليا في العالم كله، بعد الصينية و الإنجليزية والإسبانية بل تأتي العربية مع الإسبانية في مرحلة واحدة، طبعا عندما نذكر الإسبانية نعني بها أمريكا اللاتينية بالدرجة الأولى. اللغة العربية حاليا من حيث عدد المتكلمين بها تأتي في المرتبة الرابعة، فكيف يمكن أن تنقرض لغة يتكلم بها ربع سكان العالم، هذا كلام لا يستند إلى أي أصل، حتى لو كان من جهة يقال إنها محترمة، وما أظن ذلك ...هذا كلام غير معقول.

● كيف تنظرون إلى المستقبل بعد هذا التشخيص للواقع؟

●● هذه اللغة تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظها، فلا نخاف عليها، مادام الله سبحانه وتعالى قد تعهد بحفظ هذا الكتاب، وهذه اللغة هي لغة هذا الكتاب فهي محفوظة إلى يوم الدين. لكن نحن نقصر في هذا الواجب، وأننا سوف ندفع ثمن هذا التقصير في الدنيا و الآخرة، وأن علينا إن شئنا أن نتخلص من هذا الإثم الكبير، أن نحاول العمل على أن تعود اللغة العربية إلى مكانتها التي كانت لها. وكما ذكرت هناك أساليب سهلة وممكنة، مع الأسف الكتاتيب لم تعد لها المكانة التي كانت لها ، وقد كان لها دور كبير جدا في الحفاظ على اللغة العربية، وبصورة خاصة كتاتيب تحفيظ القران الكريم. وهذا مقوم أساسي يجب أن نحرص عليه وندعمه ونقويه حتى تعود له مكانته. وبالإضافة إلى ذلك لدينا وسائل الإذاعة المرئية التي يطالعها كل إنسان، أمكن أن توضع الضوابط على تحاملها على اللغة العربية الصحيحة المقبولة، لا أقول الفصحى، إذا فعلنا ذلك فإننا نستطيع أن نضمن -إن شاء الله- أن تكون هناك نهضة ملحوظة في اللغة العربية. فضلا عن ذلك هنالك المقومات التي تحفظ لهذه اللغة دوامها وبقاءها، ويتجلى ذلك في أن اللغة الفصيحة تفهم من الناس أجمعين. فالقول إن اللغة العربية ستنقرض أو أن الناس لا يفهمونها يعد وهما أو رهابا كبيرا يجب الحذر منه. كل الناس في العالم العربي يذهبون إلى صلاة الجمعة، أو يستمعون إليها في المذياع، ويفهمون خطبة الجمعة وإن كانت تلقى باللغة العربية. كما أن معظم الناس يقرؤون الجرائد، والجرائد كلها تكتب باللغة العربية الفصيحة. وكثير من الناس يستمعون إلى نشرات الأخبار، والأخبار كلها في الإذاعات المرئية والمسموعة تذاع باللغة العربية الفصيحة. طيب، كيف يعقل أن الإنسان يستمع إلى كل هذه الأشياء في حياته، ولا يعرف أو لا يجيد اللغة العربية..؟! فدعاوى موت العربية دعاوى فارغة يتحدث بها هؤلاء إما بغرض تغريب اللغة العربية، وإما بغرض أن يلقوا عن كواهلهم عبء القيام بواجبهم نحو اللغة العربية.

بِنَبْضِ القلب

لحظة عتاب

قُلْتُ له وقد تملكني الغضب
أنتم جيل عنيد ينقصه الأدب
نهاركم لهو وجدكم شغب
وليلكم سهر ومجون وطرب
****
رماني بطرف حزين كله عتب
ولسان المقال ينبي بما
عجزت عنه الكتب
أبتاه لا تظلمني فليس
في الأمر عجب
لقد خلقت لجيل غير جيلك
ولحياة كلها تعب
أنا لست نسخة منك
ولا لنارك قطعة حطب
****
حبك والدي في مهجتي
وطاعتك لا يطالها لجب
كل ما في الأمر أني
أصارع دهرا وقهرا
وفكرا وضربا من
لزِب
فلا تحسبن جيلي فقد الطريق
وأن حياتنا صخب
فنحن من حرك الدماء
الآسنة في شرايين أمة العرب
وطردنا الظلم من أرضنا
بالفل والياسمين وفورة
الشباب..
لم يعد إبحارنا في النت
نزفاً ولا نزقا
ولا تسكعا دونما سبب
****
أعدنا كتابة تاريخ أمتنا
بأحرف من نور ودم
مسا لم طاله الكرب
ألم تقولوا هرمنا
لأجل لحظة حسبناها
حلما طولته الحقب
فامنحونا لحظة حب
جميل يغنينا عن الخطب
****
ضممته وفي العين
دمعة خلفت جروحا وندب
اِمض بني حماك الله
فدرب المكابدة كله سغب
اِحرص أن يكو ن لوجودك معنى
وكن على وطنك حَدِب

ذ. أحمد الأشهب

في التفسير العلمي للقرآن الكريم

أ. د. عماد الدين خليل

يقدّم القرآن الكريم حشداً من الحقائق والسنن والنواميس في مجالات العلم المختلفة: الفلك والجغرافيا والنبات والحيوان والإنسان في عدد واسع من المقاطع والآيات.

بعض الباحثين والمفسّرين المحدثين يلجأ إلى اعتماد أحد موقفين متضادين، يتكئُ أوّلهما كلية على معطيات العلم الحديث لتفسير تلك الآيات والوقوع - بالتالي - في خطأ منهجي يقوم على تحكيم الجزئي بالكليّ، والمتغيّر بالدائم، والنسبّي بالمطلق. فإذا ما حدث وأن تبدّلت الجزئيات والنسبيات العلمية، وهذا شأنها كما يؤكد العلماء أنفسهم، أدى ذلك إلى إحداث شرخ أو قلق ذهني، إزاء تلك الآيات التي فسّرت وفق مقولات لم يتح لها الدوام.

أما الموقف الثاني فيرفض كلّية الاعتماد على معطيات العلم الحديث تحسّباً من مصير كهذا، فيقع في مظنة التفريط.

والمنهج الأقرب إلى الصواب هو أن نتخذ موقفاً وسطاً كما علمنا كتاب الله نفسه، أن نتخذ في مختلف مجالات الفكر والحياة، فلا هو بالالتصاق التام بمعطيات العلم المتغيرة، ولا هو بالرفض الحاسم للتفسير بها.

إن الدارس أو المفسّر المعاصر عليه أن يُعْمل عقله وقدراته في مجال تخصّصه - إذا توفّرت لديه- لإدراك طبيعة العلاقة بين طرفي المعادلة: الآية القرآنية والمقولة العلمية، مستفيداً من جهة أخرى من الاتجاهات الحديثة التي راحت تزداد نضجاً في مجال التفسير القرآني تلك الاتجاهات التي تعتمد المفردات القرآنية نفسها ومنحنياتها البيانية لفهم مضامين النص القرآني فيما يعرف بالتفسير البياني أو الدلالي للقرآن الكريم والذي من شأنه أن يمنح المفسر ضمانات موضوعية لنشاطه تحميه من الإفراط أو التفريط في محاولة الوصول إلى الدلالات المقصودة للكلمات والتراكيب الجملية. ومن خلال هذا التوازن بين القدرة العلمية المتخصصة، والقدرة التفسيرية (الدلالية أو البيانية) يمكن للدارس أن يتحرك للكشف عن الدلالات المقصودة للآيات العلمية في كتاب الله.

هنالك من الحقائق العلمية ما أصبح بمثابة قوانين نهائية، بل بداهات مسلّم بها لا تقبل نقضاً ولا تغيّراً، من مثل الدور الذي تلعبه الرياح في عملية الإمطار، ومن مثل الدور الذي تلعبه الجاذبية في حركة المجموعة الشمسية، ومن مثل المراحل التشريحية التي يمر بها الجنين، وتغيّر نسب المكونات الغازية قرباً أو بعداً عن سطح الأرض، ومن مثل المسافات الزمنية الهائلة بين الأجرام.. وغير هذه من الحقائق أمور كثيرة ما كان العربيّ يوم نزول القرآن يلّم بأبعادها العلمية، ومن ثم فإن تفسير الآيات القرآنية التي تناولت هذه الحقائق وأكدت عليها، كما أنه سيتكيء على بداهات علمية بالنسبة للقرون الأخيرة على الأقل، فإنه سيكشف في الوقت نفسه عن جانب من جوانب الإعجاز العديدة التي تضمّنها القرآن وأشار إليها.

وهنالك من الحقائق العلمية ما يحتمل أكثر من وجه، ولكن هذه الوجوه جميعاً إنما تدور في إطار واسع مرن ليس هناك من مانع في أن نحيل عليه آيات قرآنية أخرى لإدراك دلالاتها، من مثل تلك الآيات التي تؤكد على النظام المحكم الذي يمسك المعمار الكوني ويحميه من التفكك والضياع.

أما النظريات التي لا تزال موضوع أخذ وردّ، والتي لم تتبلور بعد كحقائق وقوانين وبداهات مسلّم بها، فإن بمقدور المفسّر أن يكون حذراً إزاءها، وألاّ يتكيء عليها إلاّ بمقدار ما يتيح له ذلك تسليط الضوء على جانب من جوانب المضمون الذي تحتويه الآية.

ليست سواء معطيات العلم التي تتغير باستمرار، ومن ثم فإن التعامل معها يجب أن يحاذر عن مظنة الارتباط الكامل أو الانفصال الكامل.

إن الارتباط الكامل سيمنع القدرة على الفهم والإدراك من التحرك في شتى الاتجاهات، والانفصال الكامل سيضعف هذه القدرة ويقيم أسلاكاً شائكة بين جانب من معطيات القرآن وبين الإنسان المعاصر.

إن الحقائق التي يعرضها القرآن والتي أريد منها أن تكون شواهد تقود الإنسان إلى الإيمان بالله الواحد القادر العالم المريد، تنتشر وتتوزّع على مساحة القرآن كلّه. ويجب أن نلاحظ أن ليس كل ما قدمه القرآن في هذا الحقل أو ذاك من حقول العلم العديدة أريد منه أن يكون إعجازاً للأجيال التالية، ولم يكن معروفاً - بالتالي- في عصر التنزيل. فثمة صنفان من الآيات نطالعهما في أي حقل من الحقول: صنف جاء على سبيل الإخبار ولفت الأنظار إلى خليقة الله وإبداعه في الكون والعالم والنفس، وهو يعرض لحقائق وظواهر وموجودات كانت معروفة في عصرها، كما هي معروفة في كل عصر. وصنف آخر تضمن إشارات لحقائق وسنن ونواميس علمية ما كانت معروفة في عصرها، وتولى العلم -بمرور الزمن- الكشف عنها وهي التي تسمى عادة بآيات الإعجاز العلمي للقرآن.

كما يجب أن نلاحظ أن ما قدمه القرآن لا يمثل كشفاً بجميع الحقائق العلمية. فالقرآن -كما ذكرنا- ليس كتاباً علمياً وإنما هو يكتفي بالكشف عن بعض الحقائق والإشارة إلى بعضها الآخر، وتبقى حشود أخرى من الحقائق أكبر بكثير تركت للإنسان حرية الكشف عنها، والمنهج الذي قدمه القرآن الكريم نفسه بهذا الصدد وهو منهج حسّي تجريبي يمثل في نهاية التحليل ضرورة إيمانية ملحّة لمواصلة هذه الكشوف.

لا خوف بعد اليوم !!

عبد الحميد الرازي

شعار رفعه التونسيون والمصريون بعد الإطاحة بمن يظنون أنهما كانا مصدرا لكل خوف، فقد عشش الرعب والخوف وسيطر على وجدان الشعبين عقودا من الزمن، أذيقت فيها الشعوب العربية صنوف العذاب وألوانه، وما أن أكلت الثورة الشبابية منسأة الزعيمين المخلوعين حتى هتف المكلومون والمرعوبون والمطاردون: "لا خوف بعد اليوم"، بل إن التونسيين أنتجوا فيلما تحت عنوان: "لا خوف بعد اليوم" ظنا منهم أن مصنع الخوف قد تهدم مع سقوط (النظام).

صحيح لا خوف بعد اليوم من الرئيس المخلوع. لكن أليس الخوف نعمة تمنح للذين أنعم الله عليهم، ويحرمها المغضوب عليهم والضالون والمتسلطون والجبابرة؟

أليس الخوف مطية المسارعين في الخيرات؟

أليس رأس الحكمة مخافة الله؟

بلى ورب الكعبة المشرفة، فما أوتينا إلا من غياب الخوف أو قلته، وما ظلمت الشعوب وقهرت إلا بغياب الوجل وندرته،

تصوروا معي لو أن فرعون مصر اقتدى بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين قال رضي الله عنه : «والله لو عثرت بغلة في العراق لخشيت أن يحاسبني الله عليها يوم القيامة» هل كان يجرؤ على نهب المليارات وتهريبها إلى بلاد عمه سام؟

وتخيلوا معي لو أن ابن علي وضع نصب عينيه قول الله عز وجل: ﴿أرايت الذي ينهى عبدا اذا صلى...﴾ هل كان ليتجرأ على بيوت الله ويسعى في خرابها بمنع المصلين من ارتيادها والحيلولة دون ذكر الله فيها ؟!!!

وفي المقابل لو أن الشعوب التزمت خوف الله عز وجل لما ارتاد (المسلمون) الحانات والخمارات، ولما أكل السحت واستفحلت الرشوة...

إن غياب الخوف من الله عند البعض حكاما ومحكومين قد يكون سببا في البلاء الحاصل في البلاد العربية، بل هو السبب الحقيقي على قاعدة: " أنهلك وفينا الصالحون" قال: "نعم إذا كثر الخبث" وهو الحاصل الآن كما حصل من قبل، حيث أنْعَم الله على كثيرٍ من الأُمَم بنعْمَة الأمن، لكنهم لما كَفَرُوا بنعمة الله، وأعْرَضُوا عن شرع الله عاقَبَهُم سبحانه، فبَدَّلَ أمنهم خوفًا؛ يقول عز وجل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(النحل: 112).

إن نجاح الثورتين المصرية والتونسية نعمة من الله وجب أن تقابل بالطاعة المطلقة لمالك الملك إذ لولاه لما قامت ثورة ولما سقط نظام.

وأول طاعة هي استبدال الخوف من المخلوقين بالخوف من الله تعالى واستحضار رقابته، لأن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخافوه، ونصب لهم الأدلة الدالة على عظمته وكبريائه، ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه، واجتناب ما يكرهه ويأباه، ومن تأمل سير الصالحين، وما كانوا عليه من الخوف والخشية، وجد أن ذلك هو الذي أوصلهم إلى تلك الأحوال الشريفة والمقامات السنية، من شدة الاجتهاد في الطاعات والتنزه عن المكروهات فضلاً عن المحرمات.

ولقد ذكر الله تعالى ما يدل على عظم شأن الخوف، وكلما زاد خوف العبد من ربه زاد عمله، وقل عُجْبه، وقلت معصيته، وكلما قلَّ خوف العبد من ربه، نقص عمله وزاد عجبه وكثرت معصيته.

﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾

وقال ﷺ: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»،وقال أبو سليمان الداراني: (أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل وكل قلب ليس فيه خوف فهو قلب خرب)

بارقة

العالم الإسلامي في حاجة إلى ثورات اجتماعية وعلمية

أ.د. عبد السلام الهراس

استطاعت تركيا أن تتخلص من مرتبة العالم الثاني إلى مرتبة الدول المتقدمة في ظل إدارة حزب العدالة والتنمية وما تزال حركة الصّعود دائبة وقد عرف الشعب التركي لذة التقدم مما جعله يضاعف الجهود، ولعل العرب يتأثرون بما يشاهدون من جيرانهم وقد بذلت إندونيسيا وماليزيا جهوداً مشابهة وحققتا من طموحهم الشيء الكثير.

ولما شاهدت ما حققه الشعبان من تقدم والعثرات التي اعترضتْهما صرْت أسأل وأتساءل عن الأيدي الخفية الّتي تكمن وراء هذه المُعوّقات فوجدت أنها الأيدي الظاهرة والخفية ممن يملكون البنوك ومصادر المال يسْتغلون أموال المسلمين ويضربون بها المسلمين وقد زرت البلدين الشقيقين وشاهدت وسمعت طرفاً من مؤامرات تلك الأيدي، وقد بينت تركيا الجديدة أنها ما تزال تمثل العالم الإسلامي ممّا تراكم لديْها من تجارب حضارية وحسن استفادتها منها وكانت حركة سعيد النورسي من الحركات المباركة التي أسْهمت بقوة رائدة في يقظة هذا العالم بل في توسيعه وانطلاقه؛ لقد بذل العرب جُهودا مضنية لتحقيق مثل هذه الانطلاقة ولكن مقاومتها كانت شديدة ومتواصلة، وقد استطاع شباب تركيا من حزب العدالة والتنمية أن يجددوا حركة زعيمهم أربكان رحمه الله وأن يطبقوا كثيراً من مبادئه ودعوته.

وعلى العالم العربي أن يدرس تجارب الشرق الإسلامي حتى يلحق به دون حاجة إلى رفع شعاراته وقد شاهدت في ماليزيا كيف يغير الفرد الماليزي ومجتمعه دون إراقة الدماء مثل ما وقع في بعض البلدان الإسلامية التي لم تزدد بثوراتها إلا تخلفا وانحطاطاً وقد عشنا هذه الثورات وعرفنا بدايتها ونهايتها لأنهم اعتمدوا على "العسكر" التي وقع بعضها تحت النفوذ الاستعماري الجديد.

لقد حققت تركيا نهضات في مجالات اجتماعية وعلمية وهي لا تزداد إلا قوة وتقدما في مجالات علمية واجتماعية وصناعية. وليت العرب اتجهوا نحو تركيا للتعاون معها لأنها أعظم دولة إسلامية متقدمة وعلى استعداد لمساعدة المسلمين.